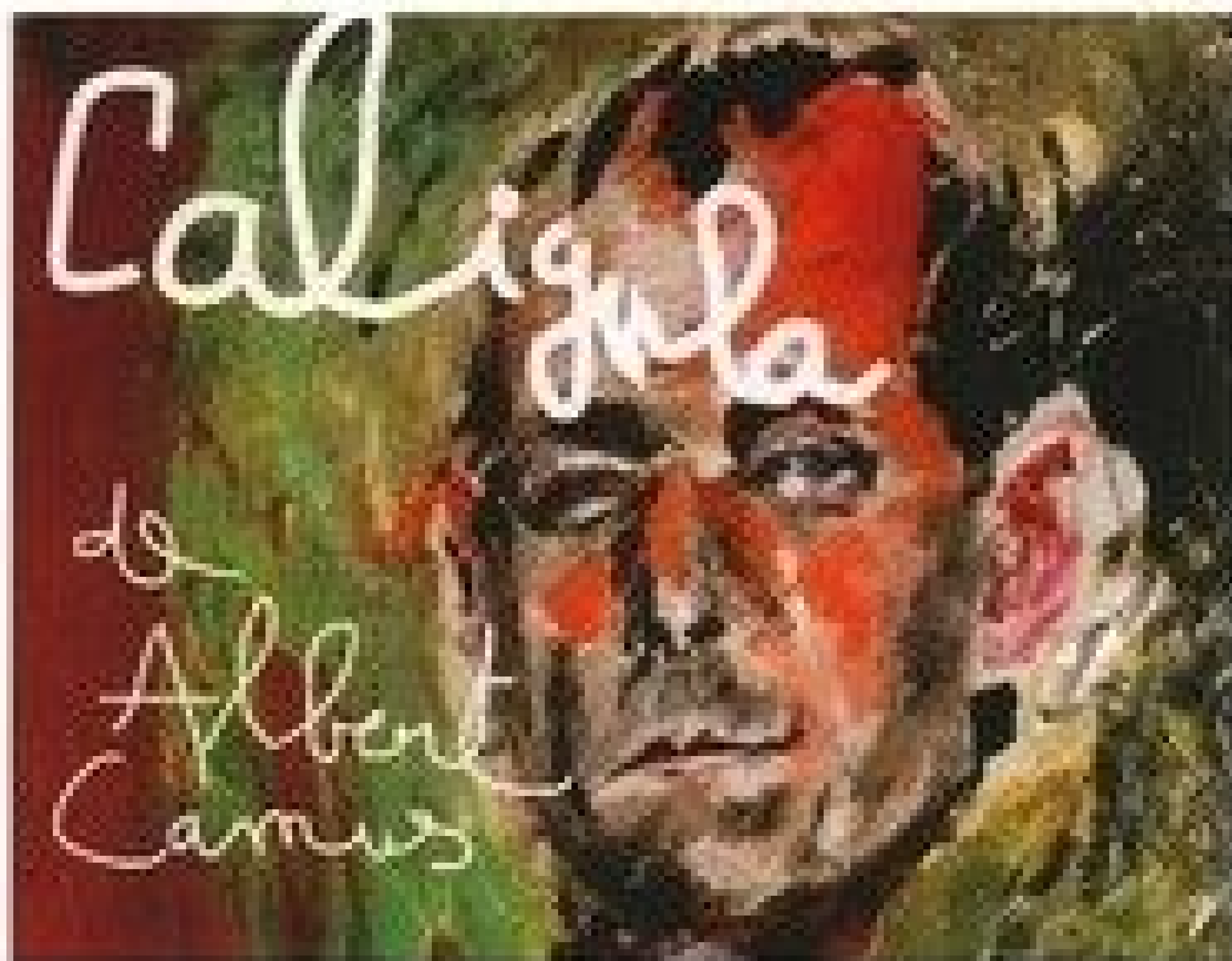
ألبير كامو

كاليغولا



ألبير كامو

كاليجولا

مسرحية من أربعة فصول

ترجمة يوسف ابراهيم الجهماني



كاليجولا

مقدمة المترجم

أنجبت فرنسا ، عبر تاريخها ، عدداً كبيراً من الوعاظ الأخلاقيين ، الذين جمعوا بين الأدب والفلسفة : ومن بين الذين أجادوا التعامل مع الريشة وكانوا من عداد المفكرين ، من أجادوا عبر مؤلفاتهم توصيف طبيعة البشر بمختلف جوانبها البسيطة وشديدة الاختلاف والمعقدة ، برز مونتانو وموليير (القرن السادس عشر) ، باسكال وفوكييه (القرن السابع عشر) ، فولتير وديدرو (القرن الثامن عشر) ، وروسو (القرن التاسع عشر) .

وما أن هلَّ القرن العشرون ، حتى ظهر على مسرح الفلسفة والأدب الفرنسي العديد من أمثال هؤلاء المفكرين : سانت ـ اكزوبيير ، مالرو ، سارتر ـ وكان البير كامو لايقل عنهم عظمة .

ولد البير كامو في السابع من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٣ في الجزائر وتوفي في الرابع من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٠ في فرنسا . كان البير كامو كاتباً وفيلسوفاً فرنسياً من الطراز الرفيع . ولد في أسرة عامل ودرس الفلسفة في جامعة الجزائر ، وكانت نشاطاته متعددة المجالات ، منها المسرح وفن الكتابة الروائية والعمل في الصحافة اليسارية بالاضافة إلى ممارسته لنشاطات اجتماعية وسياسية مختلفة .

أسس البير كامو عام ١٩٣٥ وهو لايزال في ريعان شبابه فرقة مسرحية عمالية وكان حينها عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي . ضمت هذه الفرقة

بين جناحيها لفيفاً من الفنانين والرسامين والأدباء الشباب بالاضافة إلى العمال .
إلا أنه سرعان ماحل هذه الفرقة عندما حصل الطلاق بينه وبين الحزب .
وانتسب بعد ذلك إلى احدى الفرق المسرحية الجزائرية . وبعد رحيله إلى باريس تفرغ للنضال السري ضد الفاشية وحينما مات البير كامو ، كان يدير أحد المسارح الكبرى في فرنسا ويشرف على أعمال فرق مسرحية جوالة أخرى . وتقول سيمون دي بوفوار حول نصوص كامو المسرحية «إن نصوص كامو المسرحية ، تبرز فيها شخصية كامو الحقيقية وقيمه الأخلاقية وأفكاره» .
أما كروشاك ، فيقول عنه : إن إحدى المشكلات التي واجهته باعتباره كاتباً مسرحياً ، هي تصوير شخصيات مفردة ومقنعة ، في الوقت الذي تعالج فيه مشكلات فلسفية . إنها أسئلة الوجود والعدم ، وقيم الحرية والارادة ، كانت تتردد على الدوام في مسرحيات عدد كبير من الكتاب الذين سبقوا كامو وعاصروه ، مثل آنوي وسارتر وسيمون دي بوفوار ، لكن نصوصه أبرزت محاولات لإعادة العمل على هذه الأسئلة وفق المفهوم الاغريقي للمسرح .
فالمواقف المحرجة التي تجابه الشخصيات والقدر الذي يقتحم حياتهم بشكل مفاجئ ، هي من سمات التراجيديا الاغريقية التي حاول محاكاتها .

صدر لألبير كامو عددٌ من المسرحيات الوجدانية : «الوجه والقفاء» ـ ١٩٣٧ ، «عقد القران» ـ ١٩٣٩ . كان بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي . انتقل في عام ١٩٣٩ ليعيش في فرنسا ، حيث عمل هنالك في الصحافة السرية ، منها صحيفة «كومبات» ، التي ترأس تحريرها بعد تخلص فرنسا من الاحتلال الألماني .

كتب رواية «الغريب» عام ١٩٤٢ ومؤلفه الفلسفي «أسطورة سيزيف» أيضاً في نفس السنة ، وبعد ذلك أخرج مسرحيتي «سوء تفاهم» و«كاليجولا» عام ١٩٤٤ ، اللتان أوصلتاه إلى أبواب الشهرة الواسعة . وبعد انتسابه إلى تجمع جان بول سارتر (قبل حَلِه عام ١٩٥١) ، أصدر مجموعة من الأعمال

الفلسفية والاديولوجية : «ملاحظات حيوية» ـ ١٩٥١ ، ورواية «الطاعون» ـ ١٩٤٧ ، ومسرحية انتقد فيها الدين «حالة حصار» ـ ١٩٤٨ ، وأخرى عن الثوريين اليساريين الروس «التقاة» ـ ١٩٥٠ ، انتقد فيها فكر البرجوازية الصغيرة ، الذي انتشر في أوروبا بين شرائح المثقفين ، والذي كان يدعو إلى طريق ثالث خلال معمعان «الحرب الباردة» .

أما رواية «السقوط» ، التي صدرت عام ١٩٥٦ ، فكانت تصف حالة الكاتب وهو يحاول البقاء في لجة الصراعات الاجتماعية والاديولوجية ، دون أن ينتسب إلى أحد المعسكرات المتصارعة . ولاحقاً صدرت أقاصيصه «النفي والقيصرية» ، ١٩٥٧ و «أحاديث من السويد» ـ ١٩٥٨ ، التي جاءت إثر منحه جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٧ .

وبين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٩ ، أكمل كامو اقتباساته لعدد من المسرحيات والروايات ، من ضمنها «المسوسون» لديستوفيسكي ، و«جنازة الراهبة» عن فوكنر . وفي معرض دخوله حلبة الجدل الفلسفي والفكري في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة ، كتب «أسطورة سيزيف» و«المتمرد» . كانت «أسطورة سيزيف» محاولة للبحث عن مغزى الحياة وعبارة عن تأمل فكري وفلسفي من خلال حالات قلق الانسان وهواجسه وتخوفاته .

صدر كتاب «المتمرد» عام ١٩٥١ ، الذي أثار حينها مناقشات حامية الوطيس في فرنسا وفي عدد من البلدان الأوروبية ، وكان وراء المعركة التي دارت بينه وبين سارتر ومساعده في تحرير مجلة «العصر الحديث» فرنسيس حانسون . والغاية من هذا الكتاب ، كما يقول البير كامو في المقدمة ، هي محاولة فهم روح العصر عبر التعريف بما اسماه بالجريمة المنطقية ، أو قبول واقع الحال . ويتابع قائلاً : «لعلنا نعتبر أن عصراً شرد أو استبعد أو قتل سبعين مليون نسمة ، خلال نصف قرن ، يستدعي فقط وقبل أي شيء آخر أن يحاكم» .

وفي الجزء الثاني من كتابه «المتمرد» يقول كامو : «الثورة هي النتيجة

المنطقية للتمرد والماورائية ، لأن العلاقة بينها وبين الفكرة علاقة وثيقة . وهنا موجب افتراقها عن حركة التمرد ـ حتى ولو كان تاريخاً جماعياً ، هو تاريخ ولوج في الوقائع بلا مخرج ، واحتجاج مبهم لايستخدّم مذاهب ولاأسباباً ، أما الثورة فهي محاولة لتكييف العقل مع الفكرة ولصياغة العالم في إطار نظري . لهذا يقتل التمرد أناساً ، أما الثورة فتهلك أناساً وتهدم مبادئ في الوقت ذاته» .

كانت وجهات نظر البير كامو الفلسفية تتجاوب مع أفكار المذهب الوجودي ، بغض النظر عن الخلافات التي كانت تنشب ، بين الفينة والأخرى ، بين كامو ومفكري هذا التيار الأوائل .

اعتقد البير كامو أن القرن العشرين وصل إلى حافة الافلاس ، بما تمخض عنه من تداعيات فكرية جوفاء ، كان يصفها بالأفكار العظيمة القاسية ، والتي تعبر عن عقلية لاهوتية بعيدة عن العلم ، بهدف توطيد أفكار ميتافيزيقية عن الوجود . أما الخبرة المتراكمة عن وجود البشرية ، والتي كان ثمنها الموت والدمار ، فحسب رأي كامو ، ستشرع الطريق أمام «المحال» كمصير أبدي لكرتنا الأرضية . لكن كامو يقول : يجب أن لاتخمد هذه الحقيقة عزيمتنا ، بل على العكس تماماً ، يجب أن تشحذها لتخلق قوة قادرة على متابعة الحياة بعيداً عن «الفوضى والارهاب» . وكان البير كامو يدعو دوماً إلى شحن الانسان بقيم أخلاقية روحية حقيقية في تعامله مع الطبيعة والبشر .

وفي مرحلة من مراحل حياته ، لجأ كامو إلى الوعظ الأخلاقي معتمداً على وصايا الدين المسيحي ، وفي مرحلة لاحقة طلّق ذلك وعاد ليعتمد على القواعد الاجتماعية التاريخية الثورية وأصبح يدعو إلى الأخلاق الثورية لاعتقاده بأنها أكثر عدلاً وانصافاً ، لاسيما لأولئك الذين كان يطلق عليهم «البشر الذين لايصنعون التاريخ ، إلا أنهم يتحملون اوزاره وعواقبه» .

في ابداعاته الأدبية ، رأى البير كامو أن مهمة الكاتب تنحصر في جعل العالم الفوضوي أكثر طراوة وتحويله إلى شكله الطبيعي والعادل . وفي هذا

أصبح يحث السير على طريق أدباء فرنسا المثاليين ، الذي عاشوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، بماكانوا يتميزون به من وضوح وصرامة .

توصلنا جميع مؤلفات البير كامو إلى حكايات ذات مغزى وإلى أساطير تراجيدية للأخلاق ، سادت في الكون عندما كان الانسان فيها شديد النرجسية ويعد نفسه ممثلاً للحقيقة ، شاقاً طريقه على هذا الأساس .

من الخلود الوثني في «الغريب» ، عبر المقاومة رابطة الجأش في «الطاعون» والدعوة الصادقة «لاتقتل !» في «التقاة» ، وتقصي مفهوم التمرد والقسوة المطلقة في مسرحيته «سوء تفاهم» ، وصولاً إلى المعاناة المرة منتزعة السعادة في «النفي والقيصرية» و«السقوط» .

هذا هو الطريق الذي عبده أبطال كامو في البحث المستمر والمضني عن الحقيقة في الحياة ، وتخبطهم بين الشيطان والواجب والوجدانية والتعاون بروح العصيان والتنحي أحياناً أخرى ـ إنها شواهد جلية على عدم التوازن الروحي ، الذي كان سائداً بين أدباء أوروبا في منتصف القرن العشرين .

كتب البير كامو مسرحية «كاليجولا» عام ١٩٣٨ وهو في سن الخامسة والعشرين ، وإلى يومنا هذا يعدها النقاد أفضل مسرحياته . بالاضافة إلى كونها أكثر إثارة للجدل والشهرة ، نجد فيها عصياناً شيطانياً ضد القدر ، قدمه لنا مؤلفها وهو في الطريق للبحث عن معالجة لمشكلة الحرية . لذا أقدم كامو على اختيار حاكم مطلق كبطل لمسرحيته هذه ـ هو الذي يشرع القوانين ، وهو الذي يخرقها ويبدل فيها كما تهوى نفسه ، وغالباً مايزدريها ، متباهياً بأنه لم يتوقف قط عن تعليم قومه دروساً في الحرية . لكنه في النهاية لم يتوصل إلى شيء ، لدرجة أنه أخذ يقتنع بأن الحياة مقبض ريح لامغزى لها . وتستولي على بطلنا نظرة تشاؤمية عن الحياة بكل تلاوينها ، فيتساوى عنده الحياة والموت ، العدل والظلم ، القليل والكثير ، الحزن والفرح ، الانسان والحيوان ، وتصبح الحياة ـ حسب رأيه ـ غير جديرة ببذل أية جهود ، لأن الأمر سيان فيها . هذه

الأمور جميعها ، أدت إلى سيطرة الجسد والشهوات على العقل وفقدان الأمل واليأس .

كاليجولا الطاغية ، الذي كان يبحث عن المستحيل - هو نموذج الرجل المتمرد ، رجل الارادة المطلقة ، التي تريد أن تتحدى ارادة الآلهة . إنه جلجامش ، قد فقد بموت شقيقته التي هي حبيبته في آن واحد ، فقد معنى الحياة . وهنا نجد أن حادث موت انكيدو وصديق جلجامش وعشيقه في آن واحد ، يشابه أشد الشبه موت دروزيلا شقيقة كاليجولا ، الذي أعلن عزمه على الزواج منها ، على الرغم من أن هذا الحب كان مخالفاً لناموس الآلهة . ويُقابل هذا التمرد على نواميس الآلهة ، يقابل عادة بالموت التراجيدي ، الأمر الذي لقاه كاليجولا .

لقد كرس البير كامو - الشاب ابن السادسة والعشرين - هذه المسرحية المبكرة لامبراطور روماني ، كان يقاربه سناً . كاليجولا - ذلك البطل الفذ الذي جرؤ على أن يسمو على الآلهة ، هاهو يقول : «من هو هذا الإلهْ ، كي أرغب في أن أتساوى معه ؟ إن الذي أسعى إليه الآن مستخدماً كامل قواي ، هو أن أترفع عن جميع الآلهة . إنني أتولى سلطة دولة عظمى لامرد فيها لحكم المستحيل» (الاقتباس من مسرحية كاليجولا) .

عرَّض كاليجولا نفسه بنفسه لمحنة إنسانية مفجعة ، الأمر الذي يجعلنا نصاب برعشة مقدسة عند رؤية الامبراطور الروماني في «انتحاره السامي» .

تنبع الثقة بالذات عند كاليجولا بصفته منافساً للآلهة «سيمفونية المنافسة» وينشغل كاليجولا الشرير والطيب ، الغاضب والوديع ، المحتدم والمرهف الحواس ، ينشغل بحماس مفرط أمام اسماعنا وأبصارنا بحل لغز عويص هو : كيف يجب أن يكون الانسان ؟ هل يكون عبداً لسيده ، أم عبداً لقناعاته الذاتية ؟ أظن أن العبودية قائمة في كلا الحالتين ، لكن العبودية في الحالة الثانية تعادل مأثرة تسمى «الحرية» .

إن كاليجولا شرير موهوب جداً ومعذب للذات ، عبقري فعلاً والتعامل معه صعب ، حتى لو كان يرغب في ذلك رغبة شديدة . تمثل الوحدة الفطرة الحقيقية لكاليجولا وتقرر مصيره .

وبالرغم من إخفاق كاليجولا في الامساك بالقمر بيديه ، كما كان يحلم ، فقد أفلح في اثارة ذهول كل من يحيط به على وجه البسيطة . وتذكرنا أفعال الامبراطور في عروضها المسرحية كل مرة بحفرة فائرة تجذب بقوة كل شيء إلى دوامة الأحداث . ويبدو هنا القمر الذي لم يستطع كاليجولا مد يديه للامساك به قريباً جداً ، فهو ظاهر عن كثب ، ويكتسب المقدرة على التعاطف مع آلام الناس .

يمكننا وصف مسرحية «كاليجولا» بأنها اسطورة شعرية عن المحاسبة البشرية ، في الوقت الذي نجد فيه بطلها ضحية قطبي الصراع ، حينما تتراءى وحدته ظاهرة للعيان في حد ذاتها .

أخيراً : لقد قتلوا كاليجولا وكتموا أنفاسه ، ثم صبوا عليه الضربات من جميع الجهات وكأنهم صلبوه كما يصلب المسيح تكفيراً عن خطايا البشر ، منذ آدم حتى عصره . وهكذا انقلب تحرير كاليجولا إلى تشنيع به .

أثار البير كامو تلك الحقائق الأليمة لقدر الموت البشري ، من خلال تلك الآثار المرعبة التي ظهرت على من تربع على عرش روما «كاليجولا» ، حينما بدأ يقذفنا بتراجيديات متتالية . فكاليجولا ، في معارك ألفاظه ، التي مافتئ يشنها يذكرنا بقلم كامو وفلسفته الوجودية ، طبعاً لامن جهة أراجيح جرائمه .

فهذا الفتى الذي ترعرع على مشاهدة الدماء ، نجده حينما فقد عشيقته (أخته» وعندما رآها جثة هامدة ، نجده قد وعى : أن الحياة عاجلاً أم آجلاً ستنتهي بالموت ، وسرعان ماعوَّد نفسه على القتل ، لأن الحياة أصبحت عنده لاأهمية لها . ناصره في ذلك القليل من أنصاره ، أما الآخرون فكانوا يعتقدون أنه سيعود عن غيه ، حينما يستعيد رشده . لكن كاليجولا «الامبراطور» لم

يكتف بحصد رؤوس البعيدين عنه ، بل مالبث حتى أخذ يقرب دائرة الموت لتضم أقرب الناس إليه ، ومن يشاطرونه الحكم وصولاً حتى فراش الغرام . والأنكى من ذلك أنه أخذ يحاول أن يعمم هذا المفهوم ، باذلاً مابوسعه من جهود لإقناع قومه به . وأخذ كاليجولا يقرن الشيطان بالقدر وبالاستهزاء من الآلهة ، دون استثناء ، محاولاً أن يصل إلى حقيقة الحقائق في عالم خالٍ من الحقائق .

وحسب كاليجولا ـ لايوجد في هذا الكون فرق بين الجريمة والفضيلة ، بين الشر والخير ، بين الجنون والعقل ، بين الموت والحياة . . . نظراً لغياب القيم . فالعالم تسيطر عليه النزوات والهيولى . وهنا كأني به يكرس نفسه معلماً وواعظاً وداعية للحرية . لكن أية حرية ، حريته فقط ، مستخدماً حريات الآخرين جميعاً لتخدمها .

هيهات أن يكتفي كاليجولا بذلك ، بل أخذ يذهب بعيداً إلى درجة الرغبة في إعدام كل حرية وُهبت له مع صاحبها . فهو لايكتفي بقتل الجسد ، بل يتخطى ذلك إلى الروح .

إن هذه المسرحية وماأتت به أفكار فلسفية ورموز وبطبيعتها التراجيدة ، تعبر عن أفكار البير كامو الوجودية ، عندما كان قريباً جداً من سارتر «الوجودية» .

شخصيات المسرحية

كاليجــولا : (يتراوح عمره بين الخامسة والعشرين والتاسعة والعشرين)

سيزونيا : خليلة كاليجولا ، وتبلغ الثلاثين

هيليكون : صديق مقرب من كاليجولا ويبلغ الثلاثين

سيبيون : فتى في السابعة عشر

شيريا : في الثلاثين

الشريف المسن : في الواحد والسبعين

الشريف الأول : ميثيليوس

الشريف الثاني : لوسيوس تتراوح أعمارهم بين

الشريف الثالث : ليبيدوس الأربعين والستين

الشريف الرابع : اوكتافيوس

رئيس ديوان الامبراطور : في الخمسين

ميريا : في الستين

موسيوس : في الثالثة والثلاثين

زوجة موسيوس

الخفير الأول

الخفير الثاني

الخادم الأول

الخادم الثاني

الخادم الثالث

الشاعر الأول

الشاعر الثاني

الشاعر الثالث

الشاعر الرابع

الشاعر الخامس

الشاعر السادس

الشاعر السابع

تجري الفصول ، الأول والثالث والرابع في قصر كاليجولا ، أما الفصل الثاني ففي منزل شيريا .

الزمن بين الفصل الأول والفصول الأخرى ثلاث سنوات .

الفصل الأول

المشهد الأول

(النبلاء مجتمعون في قاعة القصر ، أحدهما طاعن السن ويظهر على جميعهم الاضطراب)

النبيل الأول : لايوجد أية أخبار .

النبيل المسن : لامن الصباح ولامن المساء .

النبيل الثاني : مرت ثلاثة أيام ، دون أية أخبار .

النبيل المسن : يغادر الرسل ويعودون ليهزوا رؤوسهم قائلين : «لايوجد أية أخبار» .

النبيل الثاني : مسحوا جميع المناطق بلا جدوى ، لايمكننا أن نفعل أكثر من ذلك .

النبيل المسن : شاهدته كيف غادر القصر . كانت عيناه تبرقان بريقاً غريباً .

النبيل الأول : كنت هناك أيضاً ، وسألته عن سبب حالته هذه .

النبيل الثاني : وهل أجاب ؟

النبيل الأول : تفوه بكلمة واحدة : «لاشيء» .

(تمضي برهة ، يدخل هيليكون يمضغ بصلة)

النبيل الثاني : **(مازال بحالة اضطراب)** . شيء يشغل البال .

النبيل الأول : ايه ، شباب طائش .
النبيل المسن : نعم ، يزول هذا مع مرور الزمن .
النبيل الثاني : أتظنون ذلك ؟
النبيل الأول : نأمل ، إنه سيسلو .
النبيل المسن : طبعاً ، إذا فقد احداهن ، يجد عشرات أخريات .
هيليكون : من قال لكم أن الأمر متعلق بالحب ؟
النبيل الأول : باي شيء آخر أيضاً ؟
هيليكون : قد يكون كبده أصيب بالمرض . أو أن مشاهدتكم اليومية تثير اشمئزازه . فقد تستطيع احتمال رؤية المحيطين دائماً ، لو أنهم يستطيعون ، من وقت إلى آخر ، تبديل طلعاتهم غير أنهم وبشكل دائم على نفس الوجوم ، دائماً ذات اليَخْنَة .
النبيل الأول : أود أن يبقى الأمر متعلقاً بالحب . فهو أكثر شغلاً للبال .
هيليكون : سلواني ، والأهم أنه أكثر سلوانية من غيره . إنه أمر لايرحم لا الأذكياء ولاالمجانين .
النبيل الأول : مهما كان عليه الأمر . إن الأحزان ، لحسن الحظ ليست أزلية . هل أنتم قادرون على تحمل معاناة الأحزان أكثر من عام واحد ؟
النبيل الثاني : أما عن نفسي ، فلا .
النبيل الأول : هذا ليس في وسع الانسان .
النبيل المسن : لو كان الأمر كذلك ، لتعذرت الحياة .
النبيل الأول : أترون ؟ تعلمون أني فقدت زوجتي في السنة الماضية . بكيت عليها كثيراً ، لكنني أخيراً سلوتها . ينتابني الحزن أحياناً ، غير أن الأمور تسير ، بشكل عام ، على مايرام .
النبيل المسن : بنت الطبيعة كل شيء بعقل .
هيليكون : عندما انظر إليكم ، ينتابني احساس بأن الطبيعة تخطأ أحياناً .

(يدخل شيريا)

النبيل الأول : ايه ، ماذا ؟

شيريا : كما في السابق ، لاأخبار .

هيليكون : الهدوء ، الهدوء ، ياسادة . يجب أن نحافظ على هدوئنا . الامبراطورية الرومانية ، هي نحن . فإذا فقدنا ماء وجوهنا ، تفقد الامبراطورية رأسها . والآن الوقت غير مناسب ، نعم غير مناسب ! دعونا الآن نتوجه لتناول طعام الافطار . وهذا سيكون لصالح الامبراطورية .

النبيل المسن : صحيح ، لايجوز أن ننسى أحوالنا ، عند كل حادثة أو تخيلات ما .

شيريا : هذا لايعجبني . غير أن الأمور لاتزال تسير بصورة حسنة . كان امبراطوراً مثالياً .

النبيل الثاني : نعم ، لكن من نحتاجه : هو الشريف الغر .

النبيل الأول : ايه ، ماذا جرى لكم ، لماذا هذا التأوه ؟ لما لايستمر على تلك الروح ؟ نعم ، أحب دروزيلا ، لكن ، في نهاية المطاف كانت شقيقته ، يكفي أنه كان يضاجعها . فهل يجب أن تهتز روما قاطبة لأنها ماتت ، ـ هذا يتعدى جميع الحدود .

شيريا : سيان . غير أنني غير مطمئن على اختفائه . إنه أمر مبهم عندي أيضاً .

النبيل المسن : نعم ، لادخان بلا نار . . .

النبيل الأول : على أي حال ، من أجل مصلحة الامبراطورية ، لايجوز أن نسمح لسفاح القربى أن يتحول إلى مأساة . ليكن سفاح القربى محرماً . . . لكن دعوه يعيش بيننا في الخفاء .

هيليكون : أترون ، هذا سفاح القربى يثير ضجيجاً ما . السرير يصرصر ، إذا كان يجوز التعبير كذلك . حقاً ! من الذي قال لكم أن الأمر

يتعلق بدروزيلا ؟

النبيل الثاني : إذا لم يتعلق الأمر بها ، فبأي شيء آخر إذن ؟

هيليكون : تتحزرون . أتدركون أن التعاسة كالزواج . تظن أنك حر الاختيار ، ويتبين أنهم اختاروك . وعندها لاتستطيع عمل أي شيء . صاحبنا كاليجولا تعيس ، إلا أنه قد يكون لايعرف لماذا ! فعلى الأغلب ، شعر كأنهم مسمروه إلى الحائط ، لهذا هرب . ولو حدث معنا ، ماحدث معه ، لتصرفنا كما تصرف . خذوني ، على سبيل المثال ، فلو أعطيت امكانية اختيار أبي ، لفضلت أن لاأخلق .

(يدخل سيبيون)

المشهد الثاني

شيريا : أهناك أخبار ؟

سيبيون : حتى الآن ، لا . بعض الفلاحين يزعمون أنهم شاهدوه البارحة يركض ، بالقرب من هنا في خضم العاصفة .

(يعود شيريا إلى مجلس النبلاء ، يتبعه سيبيون)

شيريا : انقضى ثلاثة أيام ، ياسيبيون ؟

سيبيون : نعم ، كنت موجوداً في حضرته كالعادة ، وشاهدت كل شيء . دنا من جسد دروزيلا ، ومسحها ملامساً بأطراف أصابعه . بعد ذلك ، أجال الفكر ، دار إلى الخلف وغادر بخطى حثيثة ومصممة . ومنذ ذلك الوقت وهم يبحثون عنه .

شيريا : (هازاً رأسه) . كان هذا الفتى على أشد التعلق بالأدب .

النبيل الثاني : هذا طبيعي ، عند من هم في مثل سنه . . .

شيريا : لكن هذا لايناسب مقامه . امبراطور وفنان ! لايدخل هذا في العقل . نعم ، عرف التاريخ انسانا آخراً على شاكلته . دائماً يوجد

نعاج جرباء . لكن القاعدة تقول أن أغلبهم كانوا سليمي الذوق ، واكتفوا بتأدية واجباتهم الوظيفية .

النبيل الأول : لكان هذا أكثر راحة واطمئناناً .

النبيل المسن : لكل حرفته .

سيبيون : ما العمل ياشيريا ؟

شيريا : لاشيء في وسعنا عمله .

النبيل الثاني : لننتظر . فإن لم يعد ، نصبنا غيره امبراطوراً ، ولاأفشي سراً إذا قلتُ ، عندنا مايكفي من الأباطرة .

النبيل الأول : نعم ، لاينقصنا شخصيات حقيقية .

شيريا : وإذا عاد ، وكانت حالة روحه خطيرة ؟

النبيل الأول : صدقوني ، إنه لايزال طفلاً ، سوف نستطيع أن نضعه على الطريق السليم .

شيريا : وإذا لم يرغب بالاستماع إلى نصائحنا ؟

النبيل الأول : (ضاحكاً) ويحك ! انسيت أني دبرت في زمن ما مؤامرة انقلاب حكومي ؟

شيريا : لا لن أنسى ، لكن إذا احتاج الأمر ! إلا أنني أفضل أن أبقى مع كتبي . . .

سيبيون : استميحكم عذراً . **(يخرج)** .

شيريا : استاء صاحبنا .

النبيل المسن : إنه صبي . والصبا يناصر بعضه الآخر .

هيليكون : يناصر أم لا ، فالأمر سيان .

(يظهر خفير معلناً : شاهدوا كاليجولا في حديقة القصر . يخرج الجميع) .

المشهد الثالث

(تبقى خشبة المسرح لعدة ثوان خالية . فجأة وخلسة من اليسار

يدخل كاليجولا . هيئته مضطربة ، ملابسه ملوثة ، شعره مبلول ، قدماه تعجان قذارة . يُنَقِل يده ليضعها على فمه مرات عدة . يتقدم من المرآة متمعناً صورته . يتأتئ بكلمات غامضة . بعدها يتجه يميناً ويجلس واضعاً ذراعيه بين ساقيه المتباعدتين . برهة صمت . يدخل هيليكون من اليسار . يقف في زاوية خشبة المسرح صامتاً ، حينما يلمح كاليجولا . يدور كاليجولا فيراه . تمضي برهة صمت . . .)

المشهد الرابع

هيليكون : (بصوت عال) مرحباً ياكايوس !

كاليجولا : (بصوت منخفض) . مرحباً ياهيليكون !

(برهة صمت)

هيليكون : تبدو متعباً .

كاليجولا : سرت طويلاً .

هيليكون : نعم ، فقدناك طويلاً .

(برهة صمت)

كاليجولا : كان من الصعوبة بمكان أن تجدوه .

هيليكون : نجد ، ماذا ؟

كاليجولا : ذاك ، الذي أريده . . . .

هيليكون : وماذا أردت ؟

كاليجولا : (بهدوء) : القمر . . .

هيليكون : ماذا ؟

كاليجولا : نعم ، أردت القمر .

هيليكون : آه . **(برهة صمت ويدنو منه)** : ولماذا ؟

كاليجولا : هكذا ـ إنه أحد الأشياء التي لاأملكها . . .

هيليكون : مفهوم . والآن ، هل كل شيء على مايرام ؟

كاليجولا : كلا ، لم استطع الحصول عليه . . .

هيليكون : هذا مما يؤسف له .

كاليجولا : نعم ، لهذا أصبحت منهكاً . **(برهة صمت)** .

كاليجولا : ياهيليكون !

هيليكون : نعم ، ياكايوس .

كاليجولا : هل تظن أنني فقدت عقلي ؟

هيليكون : أنت تعرف حق المعرفة ، أني لاأظن بذلك أبداً .

كاليجولا : نعم ، أعرف . ومع ذلك أنا لم أفقد عقلي . بل على العكس تماماً ، إنني الآن أصفى ذهناً من أي زمن مضى . والأمر ببساطة ، هو في أنني شعرت فجأة أني بحاجة لشيء مستحيل التحقق **(برهة صمت)** . وحسب وجهة نظري ، إن نظام الأشياء سيءٌ ، لايفيد أبداً ولايرضيني . . . .

هيليكون : إنها وجهة نظر شائعة ! . .

كاليجولا : حقاً ! إلا أنني لاأعلم هذا من قبل . أما الآن ، والآن فقط ، أدركت ذلك . **(مازال محتفظاً بصوته الهادئ الطبيعي)** .
هذا العالم بحالته ، التي هو عليها ، لايطاق . لهذا احتاج إلى القمر أو الفردوس أو الخلود ، لأي شيء ، حتى لو كان جنونياً ، فقط أن لايكون . . من هذا العالم .

هيليكون : إنه استدلال عقلي منطقي . لكن هنالك قلة من البشر ، مَنْ تستطيع أن تسير على هذا المنطق حتى نهاية الطريق .

كاليجولا : **(يقف ، محتفظاً بهدوئه)** . أنت لاتفقه شيئاً من هذا . لذا لايجوز الظفر معك بأي شيء ، لأن البشر لايكونون على منطق مطلق .

إلا أنه قد يكون من الواجب فقط ، أن نبقى منطقيين حتى النهاية . **(يتأمل هيليكون)** . اعلم مايدور بخلدك . أنت تقول بينك وبين نفسك : كم من الضجيج حدث بسبب موت امرأة واحدة ؟ لا ، الأمر ليس كذلك . حقاً ، كأنني أتذكر أنه منذ عدة أيام ماتت الامرأة ، التي أحببت . لكن ماهذا الذي يدعونه حباً ؟ سخافة . فالموت هنا ليس له أية علاقة . أصدُقَكَ القول . إنه اشارة تعني الحقيقة ، التي لولاها لما احتجت القمر . إنها حقيقة بسيطة وواضحة ، لعلها سخيفة بعض الشيء ، إلا أنه من الصعوبة بمكان التصريح بها للنفس ، ولاطاقة لي على احتمال ذلك .

هيليكون : ماهي إذاً الحقيقة ، ياكايوس ؟

كاليجولا : **(يسير متحدثاً بصوت مبهم)** . يموت الناس وهم ليسو سعداء .

هيليكون : **(برهة صمت)** . استمع ياكايوس . قد يكون أن الناس أَلِفوا هذه الحقيقة وتأقلموا معها بشكل جيد . تأمل حواليك . تجدها لاتأخذ من شهية الناس شيئاً .

كاليجولا : **(ينفجر فجأة)** . إذاً ، كل ماحولي كذب ورياء . أما أنا فاريد أن أجبرهم على العيش بصدق وشرف ، وأملك لذلك الوسائل الكافية ياهيليكون . إنهم لايتمتعون بحيواتهم . وأعلم أن الذي ينقصهم هو المعرفة وينقصهم المعلم الذي يعي مايتحدث به . . .

هيليكون : لاتنزعج ، لاتنزعج أرجوك ياكايوس ، إذا قلت لك أنك تحتاج لقسط من الراحة .

كاليجولا : **(يجلس ويتحدث بلطف)** . لاأستطيع ياهيليكون . لا الآن ولافي المستقبل .

هيليكون : لماذا ؟

كاليجولا : إذا ذهبت إلى النوم ، فكيف سأحصل على القمر ؟

هيليكون : **(برهة صمت)** . هذا حق ! صدقت .

(يقف كاليجولا ، بجهد واضح) .

كاليجولا : ياهيليكون . اسمعْ وقع أقدام مقبلة وضجيج أصوات فعليك أن تمسك لسانك وتنسى أنك رأيتني .

هيليكون : سمعاً وطاعة .

كاليجولا : ياهيليكون ، من فضلك ساعدني من الآن فصاعداً .

هيليكون : لا توجد عندي أسباب تجعلني أن لاافعل ذلك ، ياكايوس . غير أني لاأعرف الكثير وهنالك القليل الذي أهتم به . فبأي شيء أستطيع أن أقدم لك يد العون ؟

كاليجولا : في إدراك المستحيل .

هيليكون : سأحاول .

(يخرج كاليجولا . ويدخل للتو سيبيون وسيزونيا بتؤدةٍ) .

المشهد الخامس

سيبيون : لم نجد أحداً . ألم تره ياهيليكون ؟

هيليكون : كلا .

سيزونيا : أصدقني القول ياهيليكون ، أحقاً لم تقل شيئاً قبل أن يبرحنا ؟

هيليكون : أنا لم أكن كشتباناً في يده ، لست أنا سوى مشاهد ، وهذا أكثر حكمةً .

سيزونيا : أتوسل إليك .

هيليكون : ياعزيزتي سيزونيا . إن كايوس رجل مثالي ، وهذا معروف لدى الجميع . أما إذا أردنا التحدث بطريقة مغايرة فنجد أنه لزاماً علينا الاقرار بأنه لم يع حالته بعد . أما أنا فأدركت ذلك ، لذا لم أتدخل في الأمر . لكن لو عاد كايوس إلى رشده ، فلسوف

يتدخل في كل شاردة وواردة . . . الرب وحده عندها سوف يعلم إلى ماستودي بنا الأمور . عذركم ، أيها السادة فقد حان وقت الغداء . **(يخرج)** .

المشهد السادس

(تجلس سيزونيا بتراخٍ)

سيزونيا : شاهده الخفير وهو قادم إلى هنا . وكل من في روما يشاهده في كل مكان . وكاليجولا لايرى سوى فكرته .

سيبيون : أية فكرة ؟

سيزونيا : من أين لي أن أعرف ياسيبيون ؟

سيبيون : أهي دروزيلا ؟

سيزونيا : من يستطيع الجزم ؟ إلا أنه كان يعشقها حقيقة . وهذا في الحقيقة أمرٌ مرٌ وحزينٌ . إنك تحزن حينما تتحول الامرأة ، التي كنت تعانقها ليلة البارحة إلى جثة هامدة .

سيبيون : **(في خجل)** وماذا عنك ؟

سيزونيا : ماأنا سوى عشيقة قديمة .

سيبيون : لكن ، نحن بحاجة لانقاذه ياسيزونيا .

سيزونيا : أيعني ذلك أنك تحبه ؟

سيبيون : نعم ، أحبه . كان لطيفاً معي وأحسن إليّ وبعث بي النشاط . لاأزال أتذكر كلماته . قال : إن طريق الحياة وعرٌ وشاق بدون مساعدة الدين والفن والحب . وكان عادة مايكرر قائلاً : يقع في ضلالة ، كل من كان سبباً في آلام الآخرين . أراد أن يصبح عادلاً .

سيزونيا : **(تقف)** لقد كان طفلاً ! **(تدنو من المرآة وتتأمل صورتها)** . لم يكن لديَّ في يوم من الأيام اله آخر ، سوى جسدي . وأنا أصلي

لهذا الاله اليوم ليعيد إليَّ كايوس .
(يدخل كاليجولا . وعندما يشاهد سيزونيا وسيبيون يتردد بالدخول . وفي نفس اللحظة يدخل النبلاء ورئيس ديوان الامبراطور من الجهة الأخرى لخشبة المسرح . يقفون في حالة ذهول . تلتفت سيزونيا وسوية مع سيبيون يجريان باتجاه كاليجولا . إلا أنه يصدهما باشارة من يده) .

المشهد السابع

رئيس ديوان الامبراطور : (متردداً) . كنا . . . كنا نبحث عنك يامولاي .

كاليجولا : (قاطب الوجه ، بصوت جاف) . أرى ذلك .

رئيس ديوان الامبراطور : نحن . . . أي . . . نحن . . .

كاليجولا : (بحدة) . ماذا تريد ؟

رئيس ديوان الامبراطور : شغلت بالنا عليك يامولاي . . .

كاليجولا : لأي سبب ؟

رئيس ديوان الامبراطور : هه . . ها . . هه . . ام . . ام .
(وفجأة كأن الهاماً برق في رأسه فتسابقت الألفاظ إلى لسانه) . يامولاي ، إنك تعلم أن هنالك مسائل تتعلق بالخزينة تنتظر قرارك .

كاليجولا : (ينتابه ضحك متواصل) . الخزينة ؟ أي ، نعم ، طبعاً الخزينة ـ إنه أمر جدي وخطير .

رئيس ديوان الامبراطور : طبعاً ، يامولاي .

كاليجولا : (ينظر إلى سيزونيا ضاحكاً) . أهذه هي الحقيقة ياعزيزتي ، الخزينة ـ إنه أمر هام جداً ؟ .

سيزونيا : لا يا كاليجولا ، الخزينة ـ أمر يأتي بالدرجة الثانية .

كاليجولا : أنت ببساطة لاتفقهين في هذه الأمور . لاجدل حول ما إذا كانت الخزينة تحتل أهمية عظيمة . كل شيء مهم : الأموال ، الأخلاق العامة ، السياسة الخارجية ، امداد وتموين الجيش والقوانين العقارية . ما من شيء إلا وهو جدير بالاهتمام . وكل الأمور في الأهمية سواء . عظمة روما وأزمات التهاب مفاصلك سواء بسواء . نعم ! سأقوم بكل هذا . اسمع يارئيس الديوان .

رئيس ديوان الامبراطور : كلي آذان صاغية يامولاي .

(يدنو النبلاء من كاليجولا أكثر) .

كاليجولا : إنك مخلص لي ، أليس كذلك ؟

رئيس ديوان الامبراطور : (بلهجة عتاب) . يامولاي !

كاليجولا : حسن ، لدي خطة أود أن أعرضها عليك . سوف نقلب سياستنا الاقتصادية رأساً على عقب . سأشرح لك كل شيء يارئيس الديوان . . . عندما يغادر النبلاء .

(ينصرف النبلاء)

المشهد الثامن

(يتمجلس كاليجولا بالقرب من سيزونيا محيطاً خصرها بذراعه)

كاليجولا : اصغِ باهتمام . القرار الأول : على جميع النبلاء والشخصيات الأخرى في الامبراطورية ، الذين يحوزون على ملكيات خاصة كبيرة كانت أم صغيرة ـ وهنا هاتان الحالتان متساويتان ـ عليهم أن لايلجأوا ، من الآن فصاعداً ، إلى توريث أبناءهم وأن يسجلوا جميع وصاياهم باسم الدولة .

رئيس ديوان الامبراطور : ماهذا يامولاي ؟ . . .

كاليجولا : لم اسمح لك بالحديث بعد . وعلى قدر الاقتضاء ، سوف نباشر

بقتل هذه الشخصيات وفق جدول موضوع بشكل عشوائي . وإذا اقتضى الأمر ، سنقدم على تبديل الدور ، أيضاً بشكل عشوائي . سوف نرث كل شيء .

سيزونيا : **(تفلت نفسها من ذراعه وتتنحى جانباً)** ماذا دهاك !

كاليجولا : **(برصانة)** في الواقع ، إن النظام الذي سيجري فيه تنفيذ أحكام الاعدام ليس مهماً . والأصح أن جميع الأحكام لها ذات الأهمية ، الأمر الذي يجعلنا نقول أنها بالكامل لاوزن لها .
على أية حال ، هؤلاء أم سواهم ـ الجميع مذنبون . ولاحظ هنا ، على سبيل المثال ، أن سرقة المواطن ، بشكل مباشر ، أمر لايقلُ أخلاقية ، عن ذلك ، الذي عنده تفرض ضرائب مصطنعة على اسعار المواد ذات الضرورة الأولية . أن تتولى الادارة ـ هذا يعني أن تسرق ، وهذا ماهو جلي للجميع ، لكنه اختلاف في الطرق فقط . أما أنا فسوف أنهج أسلوب السرقات المباشرة . وهذا مايُعزز موقفنا في تحرير الشرائح الدنيا من المجتمع . **(يستدير فجأة ويتوجه إلى رئيس الديوان)** . نفذ هذا القرار ، دون إبطاء . يجب على جميع سكان روما أن يكتبوا وصاياهم اليوم مساءً . أما سكان المقاطعات ـ فخلال شهر واحد على ابعد تقدير . أوفد الرسل .

رئيس ديوان الامبراطور : يامولاي ! أنت لاتدرك معنى هذا الأمر . . .

كاليجولا : اصغ إليَّ جيداً ، أيها البليد . عندما يكون للخزينة هذه الأهمية ، فلن يكون للحياة الانسانية أهمية تذكر . اليس هذا واضحاً ؟ وجميع من يفكر على شاكلتك ، يجب أن يكونوا على اشد وفاق مع مثل هكذا قرار ، مفترضين أن حيواتهم ستبقى عديمة الأهمية ، عندما تصبح النقود شغلهم الشاغل . منذ هذه اللحظة ، قررت أن أصبح منطقياً . وبما أنني أملك السلطة ، فسترون أي ثمن

ستدفعونه جراء هذا المنطق . سوف أبيد التناقض والمتناقضين . وإذا استدعت الضرورة ، سوف أبدأ بك .

رئيس ديوان الامبراطور : اقسم لك يامولاي ! أن ارادتي الخيرة لاتخضع لأي شكوك .

كاليجولا : وسلامة نيتي أيضاً . تستطيع الثقة بي . والبرهان على ذلك ـ هو اقدامي على اعتناق وجهة نظرك في اعتبار أن خزينة الدولة موضوع يستحق التفكير والاهتمام . بكلمات أخرى ، يجب عليك أن تشكرني لأنني بدأت أتقبل لعبتك والعب بأوراقك . **(تمضي برهة صمت وهدوء)** . لذا تصبح خطتي واضحة وبسيطة ، ولذا أيضاً سنوقف المناقشات . وامامك ثلاث ثواني لكي تختفي وسأبدأ العد : واحد . . . **(يختفي رئيس ديوان الامبراطور)**

المشهد التاسع

سيزونيا : انني لاأعرفك كذلك ! لعلك تمزح ؟

كاليجولا : ليس تماماً ياسيزونيا . إنه درس في التربية .

سيبيون : لكن هذا أمر مستحيل ، ياكايوس !

كاليجولا : لهذا أنا متمسك به .

سيبيون : أنا لاأفهمك .

كاليجولا : إني أتمسك بالمستحيل هذا والحديث يدور هنا عن غير الممكن ، والأصح عن أمر نجعل فيه المستحيل ممكناً .

سيبيون : لكنك تلعب لعبة شديدة الخطورة . إنها تسلية للمجانين .

كاليجولا : كلا ياسيبيون . إنها رسالة الامبراطور . **(يطعج جسمه إلى الخلف وتبدو علائم تعب وإعياء على وجهه)** . أخيراً ، أدركت فائدة

السلطة . إنها تعطي للمستحيل حظوظاً ما . ومن الآن فصاعداً ، سوف أترك العنان لحريتي لتجول أينما تريد ، دون حدود .

سيزونيا : **(بحزن)** . هل مثل هذا الأمر يجلب الغبطة ياكايوس؟ لاأعرف.

كاليجولا : ولاأنا أيضاً . غير أني أظن ، أنه يجب علينا أن نتعايش مع هذا . **(يدخل شيريا)** .

المشهد العاشر

شيريا : علمت بعودتك . أصلي للآلهة من أجل أن تبقى صحتك بخير .

كاليجولا : صحتي ، إنها تقدم لك آيات الشكر . **(تمضي برهة ثم يردف فجأة ويتحدث)** . اغرب عن وجهي ياشيرياالأريد أن أراك ثانية .

شيريا : هذا مايدهشني ، ياكايوس .

كاليجولا : لاتندهش . لاأحب الأدباء ولاأتحمل أُفكهم . يتكلمون بذلك الشكل ، الذي لايسمعون فيه أنفسهم . وإذا سمعوها ، تبين لهم مقدار تفاهاتهم ، وعلى الأثر ، يصمتون .
لا ، يكفيني شهاد زور . إني أمقتهم .

شيريا : إذ كذبنا أحيانا ، يكون كذبنا دون قصد . وهذا يدفع التهمة .

كاليجولا : الكذب لايكون بريئاً .وكذبتك تترك أثراً وأهمية عند الناس والأشياء . لهذا لاأستطيع أن أصفح عنك .

شيريا : ومع ذلك ، يجب الوقوف لحماية هذا العالم ، طالما نرغب أن نعيش فيه .

كاليجولا : لاضرورة للحماية . انتهت المحاكمة . لاأهيمة لهذا العالم . ومن يدرك ذلك ـ يستحوذ على الحرية . **(يقف)** . أكرهكم ، لأنكم لستم أحراراً . ولايوجد في امبراطورية روما انسان حر سواي . افرحوا فقد ظهر عندكم ، في نهاية المطاف امبراطور سيلقنكم

دروساً في الحرية . أغرب عن وجهي ياشيريا ، وأنت ياسيبيون أيضاً . فالصداقة أصبحت مهزلة . أَعْلِموا روما ، أنها قد استعادت حريتها أخيراً وأنها ستبدأ عهداً حافلاً بالتجارب والمحن . . . .

(يخرجون ، يدير كاليجولا ظهره) .

المشهد الحادي عشر

سيزونيا : أتبكي ؟

كاليجولا : نعم ياسيزونيا .

سيزونيا : لكن ، ماالذي تغير في الجوهر ؟ نعم ، كنت تعشق دروزيلا ، لكنك في نفس الوقت ، كنت تعشقني والكثيرات غيري من النساء . وموتها ، لايبرر اختفاءك ثلاثة ايام بلياليها تحت سماء عارية وأن تعود بمثل هذا الوجه الغريب المتجهم .

كاليجولا : **(يدير وجهه)** . من يتحدث معك عن دروزيلا ، أيتها الحمقاء ؟ ألا يخطر ببالك قط ، أنه قد يبكي رجل ما دون أن يكون العشق سبباً .

سيزونيا : اعذرني ياكايوس . أردت استجلاء الأمر .

كاليجولا : يبكي الناس ، لأن الأمور تجري لاكما ينبغي لها أن تجري **(تدنو منه)** . دعينا ياسيزونيا **(تتراجع سيزونيا)** لكن ابقي معي .

سيزونيا : كما تشاء **(تجلس)** . وفي عمري هذا ، أعرف أيضاً أن الحياة بالنسبة لنا رذيلة . إلا أنه إذا وُجد شرٌ على هذه الأرض ، فلماذا نسعى إلى مضاعفته ؟

كاليجولا : أنت لاتفهمين ماأريد . لايهم . قد أستطيع أن أتعايش مع ذلك . لعل الأمر لايتعدى سحابة صيف ، سرعان ماتنقشع . . . غير أني أشعر كيف تستفيق عندي حقائق لاتسمية لها . ماالذي سأصنعه

لها ؟ **(يدور باتجاهها)** . آه ، ياسيزونيا . علمت أن الناس يصيبهم القلق ، لكنني لاأفقه ماتعنيه هذه الكلمة . ظننت كما ظن الآخرون ، أنه مرض الروح ، فإذا بي ارى الجسم يتلوى . تؤلمني بشرتي وصدري وأطرافي . أشعر بالغثيان ورأسي يدور . إلا أن الأكثر رعباً ـ هو فقداني لحاسة الذوق ، إذ لاطعم للدم أو للموت أو للحمى لكنها جميعاً تشترك في مذاق واحد . ويكفي فقط أن أحرك لساني ، حتى يسوِّد كلُ ماحولي ويخيّم الظلام . . . إن الناس يثيرون اشمئزازي . آه كم هو صعب ومر أن يصبح المرءُ انساناً !

سيزونيا : أنتَ بحاجة لأن تغفو ، أن تنام طويلاً وأن تسترخي وألا تفكر بشيء . سأجلس معك إلى أن تنام . وعندما تستيقظ سيعود للحياة طعمها السابق وبهجتها . وحاول أن تستخدم سلطتك لكي تحب من لايزال يستحق أن يحب . فقد يجد عندك الحب حظه ، ربما .

كاليجولا : لاشك في أنني أحتاج للنوم والسلوان ، إلا أنني غير قادر على ذلك .

سيزونيا : يتراءى لك ذلك ، لأنك منهك من التعب . وإذا عاد لنا النشاط ، استعدنا قبضتنا على الأشياء .

كاليجولا : والذي يجب أن نعرفه ، هو الكيفية التي سنستخدم فيها هذه الأشياء . ولِمَ أحتاج لمثل هكذا قبضة صلدة ؟ ولِمَ هذا الجبروت الذي لم يسبق له مثيل ؟ إذا لم أستطع تغيير نظام العالم ؟ وأن أجعل الشمس تغرب في الشرق ، وأن تختفي المعاناة وأن يتوقف الناس عن الموت ؟

لاياسيزونيا . الأمر ليس سيان ـ النوم أم اليقظة ـ إذا لم يكن لدي

سلطة على نظام العالم والأشياء .

سيزونيا : أيعني ذلك ، أنك تريد أن تتساوى مع الآلهة . لاأرى جنوناً أرهب من ذلك .

كاليجولا : حتى أنتِ تعتبرينني مجنوناً . نعم ، من هو هذا الاله ، كي أرغب أن أتساوى معه ؟ والذي أسعى إليه الآن ، مستخدماً كامل قواي ، هو أن أترفع عن جميع الآلهة ،إنني أتولى سلطة دولة عظمى ، لامرد فيها لحكم المستحيل .

سيزونيا : لاتستطيع أن تجعل السماء تتوقف على أن تصبح سماءً ، وأن يتحول الوجه الرائع إلى وجه قبيح وأن تقتل العاطفة في قلب الانسان .

كاليجولا : **(بحماس متزايد)** أريد أن أذيب السماء في البحر وأن أصهر الجمال مع القبح ، وأن أخلق من الألم فقاعات من الضحك .

سيزونيا : **(تقف أمامه متضرعة)** . إلا أنَّ هناك خير وشر ، عظمة وخسة ، عدل وفوضى . صدقني أن هذا كله سيبقى دون تغيير .

كاليجولا : **(بحماسة)** . وأرغب أن أبدل كل شيء . سأقدم المساواة لعصري هذا هديةً . وعندما يتساوى الجميع ، سيصل ، في النهاية ، المستحيل إلى الأرض وسيصبح القمر بين يديّ . وعندها تحين فرصة التحول لي وللعالم أجمع معي ، وعندها يتوقف الناس عن الموت وفي نهاية المطاف ، يصبحون سعداء .

سيزونيا : **(صارخة)** . لن تستطيع انكار الحب .

كاليجولا : **(محتدم الغضب)** . الحب ، ياسيزونيا ! **(يمسكها من كتفيها ويهزها)** . لقد أدركت تفاهته . والمهم هو أمر آخر : خزينة الدولة ! أحقاً لم تسمعي ؟ من هنا يبدأ كل شيء . وفي نهاية الأمر سوف أعيش ! أعيش ، ياسيزونيا ، أعيش الحياة والحب ـ

أمران متناقضان . هذا ماأستطيع قوله لك . وادعوك إلى احتفال لانظير له ، إلى محكمة عالمية ، إلى اروع التمثيليات . إلا أني أحتاج ، من أجل ذلك ، إلى بشرٍ ، شهود ، ضحايا ، ومذنبين .
(يهرع إلى الناقوس ويبدأ بقرعه دون توقف ، بما أوتي من قوة) .

كاليجولا : **(وهو يقرع الناقوس)** . ادخلوا المذنبين . احتاج إلى مذنبين ـ الجميع مذنبون **(يواصل القرع على الناقوس)** أريد أن تحضروا المحكومين بالاعدام ، والرعية . أين رعيتي ؟ أين القضاة ؟ أيها الشهود ، أيها المتهمون جميعكم ستُحكمون بالاعدام ! آه ياسيزونيا ، سأريهم شيئاً لم يروه في حياتهم : سأريهم الرجل الحر الوحيد في هذه الامبراطورية !
(على أثر الأصوات العالية الصادرة عن الناقوس ، يعج القصر بأصوات ترتفع وتتقارب . أصوات صرير اسلحة ، خطوات وطقطقة . ينفجر كاليجولا ضاحكاً ويتابع الضرب على الناقوس . يظهر الخفراء يقفون قليلاً ، ثم يختفون) .

كاليجولا : **(مواصلاً القرع على الناقوس)** . وأنت ياسيزونيا ، هل ستمتثلين لي ولاتترددين في مساعدتي . سيكون هذا رائعاً . اقسمي ياسيزونيا أنك ستساعدينني .

سيزونيا : **(كالمجنونة ، تجيب في الوقت المستقطع بين كل ضربتين على الناقوس)** . لماذا يتوجب عليَّ أن أقسم ، مادمت أحبك .

كاليجولا : **(مواصلاً القرع على الناقوس)** . اعملي كل ماأقوله وأطيعي أوامري ! .

سيزونيا : **(تتحدث في الاستراحات بين الضربات)** . كل ماتريده ياكاليجولا . لكن كفى . توقف عن القرع .

كاليجولا : **(مواصلاً القرع على الناقوس)** ستكونين قاسية !

سيزونيا : **(تبكي)** . قاسية .

كاليجولا : **(مواصلاً القرع ويتحدث باللهجة ذاتها)** قاسية وباردة .

سيزونيا : عديمة الرحمة .

كاليجولا : (مواصلاً القرع ويتحدث باللهجة ذاتها) . سوف تتألمين وتعانين .

سيزونيا : حسن ، ياكاليجولا . لكني سأفقد عقلي !

(يهرع النبلاء مصعوقين ومعهم خدم القصر . كاليجولا يضرب الناقوس آخر ضربة ، يرفع المطرقة ، يتحول إلى الجميع ويصرخ) .

كاليجولا : **(خارجاً عن طوره)** . فليقترب الجميع . آمركم بالاقتراب **(يضرب الأرض بقدميه)** . الامبراطور يأمركم بالاقتراب أكثر . **(يقترب الجميع وهم بحالة هلع وخوف)** . هَلموا . . . أسرعوا ! والآن تقدمي أنت ياسيزونيا .

(يأخذها من يدها ، يقربها من المرآة ويحاول بنشوة ظاهرة طمس صورتها بملامسة سطح المرآة بالمطرقة) .

كاليجولا : **(ضاحكاً)** . هذا كل شيء . أرأيتِ . ليس هنالك ذكريات بعد ، تبخر الوجه كاملاً . فراغ . أتعلمين من الذي بقي ؟ اقتربي أكثر . انظري . وأنتم اقتربوا . انظروا . **(يقف أمام المرآة بوضعية مخبول)** .

سيزونيا : **(تنظر إلى المرآة بخوف)** . كاليجولا !

كاليجولا : **(يغير من تعابير وجهه ، يضغط باصبعه على المرآة . يثبت نظرته فجأة ويصدح بلغة المنتصر أمام الجميع قائلاً)** : كاليجولا .

تسدل الستارة

الفصل الثاني

المشهد الأول

(يجتمع النبلاء في بيت شيريا)

النبيل الأول : إنه يهين وقارنا .

موسيوس : مرت ثلاث سنين !

النبيل المسن : ينعتني بالإمرأة ! يجعل مني مسخرة ! الموت له !

موسيوس : مرت ثلاث سنين !

النبيل الأول : كل مساء ، يتوجه للنزهة خارج المدينة ، ويجبرنا على العدو خلف هودجه !

النبيل الثاني : ويقول أن العَدْوَ مفيدٌ للصحة .

موسيوس : مرت ثلاث سنين !

النبيل المسن : هذا ليس مقبولاً ، ولاهو بالمسوغ .

النبيل الثالث : أجل ، لايجوز التسامح مع ذلك .

النبيل الأول : الملعون ، صادر جميع ممتلكاتك ياسيبيون ، وقتل أباك يااوكتافيوس ، وخطف زوجتك وأجبرها على العمل في دار البغاء وقتل ابنك ياليبيديوس. ألا تتوحدون الآن ؟ أما أنا فقد اتخذت قراري ولااستطيع التردد في الاختيار بين المجازفة بالحياة وقضاء

العمر في هلع وذل . . .

سيبيون : قرر قتل والدي ، بدلاً من قتلي .

النبيل الأول : أما زلتم مترددين ؟

النبيل الثالث : نحن معك . لقد أعطى الشعب أدوارنا على السيرك ، وأجبرنا على العراك مع الدهماء ، لكي يعاقبنا لاحقاً أشد عقاب .

النبيل المسن : إنه جبان .

النبيل الثاني : وماجن .

النبيل الثالث : ومنافق .

النبيل المسن : إنه عنين .

النبيل الرابع : مرت ثلاث سنين !

(هتافات غير منتظمة . تُسل السيوف . يسقط أحد المشاعل وتنقلب المنضدة . يسرع الجميع إلى الخارج . إلا أن شيريا يدخل في هذه اللحظة بهدوء ، ويباشر بايقاف هذه الهبة) .

المشهد الثاني

شيريا : إلى اين تمضون مسرعين ؟

النبيل الثالث : إلى القصر .

شيريا : أدركت ذلك . أتظنون أنهم سيسمحون لكم بالدخول ؟

النبيل الأول : لن نقدم على طلب السماح .

شيريا : كيف أتتكم الجرأة فجأة ؟ ألا تسمحون لي بالجلوس في بيتي ؟

(يقفل الباب . يتجه شيريا إلى المنضدة ، التي كانوا قد غادروها ويتمجلس على أحد أركانها ويحيط به الآخرون)

شيريا : الأمر ، ليس بهذه البساطة ، كما يتراءى لكم ياأصدقائي . فالجزع الذي تعيشونه الآن ، لايمكن استبداله فجأة بالرجولة وبرودة

الأعصاب . هذا ليس وقته الآن .

النبيل الثالث : فارِقْنا ، إذا كنت لست في صفنا . لكن أمسك لسانك .

شيريا : كلا ، إني لاأزال أظن إنني في صفكم . وإن تباينت الأسباب .

النبيل الثالث : كفى هراء !

شيريا : **(يقف)** . أجل ، كفى هراء . أريد أن يكون كل شيء واضحاً . . فإنني وإن كنت في صفكم ، فهذا لايعني أنني سأنوب عنكم . لهذا السبب أرى أن تكتيكم خاطئاً . فأنتم لم تفهموا عدوكم على حقيقته ، وتنسبون إليه أفكاراً وضيعة . أما الحقيقة ، فتقول أنه لايوجد لديه سوى خطط كبيرة وأنتم تسرعون إلى حتفكم . تعلموا ، بادئ ذي بدء ، أن تروه كما هو . عندها تستطيعون النضال ضده بصورة أفضل .

النبيل الثالث : نحن نراه ، كما هو : أكثر الطغاة عتهاً !

شيريا : لست متأكداً . كان عندنا أباطرة معتوهين . لايكفي نعته بالمعتوه . وأنا أكرهه ، لأنه يعرف مايريد .

النبيل الأول : يريد أن يقتلنا جميعاً .

شيريا : كلا ، ماهذه سوى من مهامه العابرة . أما عظمته فتخدم جزءاً أكبر وهلاكاً أشد . إنه يهددنا في أعز مانملك . أجل ، لم يكن لدينا هو الأول ، من تحلى بسلطة مطلقة ، إلا أنه هو أول من استخدمها بلا حدود ، إلى درجة الانكار التام للانسان والعالم . وهذا الذي يرعبني فيه ، وهذا ماسأناضل ضده . الموت ليس مخيفاً . ورجولتي تكفي لذلك ، عندما تقترب الضرورة ، لكنك لاتحتمل أن تشاهد كيف تفقد الحياة معناها ويفقد الوجود أساسه . لايجوز العيش دون هدف حياتي .

النبيل الأول : الثأر ـ ألا يصلح أن يكون هدفاً حياتياً ؟

شيريا : أجل ، وأريد أن انضم إليكم في هذا . لكن ، يجب عليكم أن

تدركوا ، إنني أنضم إليكم لاانطلاقاً من تعاطفي مع صغائركم ، بل لكي أحول دون تنفيذ فكرة عاتية ، التي بانتصارها ، يصل الكون إلى فنائه . قد اتسامح مع الحقيقة التي تقول أنه يسخر منكم ، إلا أنني لاأستطيع أن أسمح لكاليجولا أن يحقق أحلامه . إنه يحول فلسفته إلى نعوش . ومن سوء الطالع ، أن تكون هذه الفلسفة غير قابلة للدحض . وعندما لاتستطيع الافحام ، تلجأ إلى السلاح .

النبيل الثاني : هذا يعني ، أنه يجب مباشرة الفعل .

شيريا : الفعل أمر واجب . لكن ، يجب أن لاتفتحوا معركة مع سلطة لازالت في أوج قوتها . إن الصراع ضد الطاغوت ، ذا المطامع الشريرة أمر ممكن . لكن ، بداية النضال تكون في مساعدته حتى يختمر والانتظار حتى يصل منطقة إلى محال . أقول هذا صادقاً ، وأعيد وأكرر : أدركوا أني سأبقى معكم بعض الوقت . وبعدها سأتوقف عن خدمة أهدافكم ، حيث الذي أنا بأمس الحاجة إليه هو ـ أن أمتلك سكوناً روحياً في عالم استرجع تآلفه وسادت المحبة فيه من جديد . لاأبحث عن شيء من أجل مآرب شخصية . ويقنعني على الفعل شيء آخر ـ الخوف ، جزع العقل أمام هذه الأعاصير الانسانية من المشاعر ، التي تحول حياتي إلى هباء .

النبيل الأول : **(يتقدم إلى الأمام)** . أظن أنني أدركت ماتتقوله ، لكن ليس لآخر الخط . إلا أن الشيء الرئيس ، هو أنك كما نحن جميعاً تعتقد بأن أسس مجتمعنا في خطر . والأمر ، بالنسبة لنا ، في الأخلاق قبل أي شيء آخر ، أليس كذلك ؟ تهتز دعائم أُسرنا ، يختفي الاحترام للعمل ، والبلاد قاطبة معرضة للهوان ، وصوت الفضيلة يستنجد بنا . فهل نبقى أصماء لانسمع صوتها ؟

ياأصدقائي ! هل يعقل أنكم ستبقون صابرين ، حينما يساق النبلاء كل مساء لكي يعدو خلف هودج الامبراطور ؟

النبيل المسن : هل تسمحون بأن يدعوهم «عزيزتي» ؟

النبيل الثالث : هل تسمحون بأن يسلبهم نساءهم ؟

النبيل الثاني : وأطفالهم ؟

موسيوس : وأموالهم ؟

النبيل الخامس : كلا .

النبيل الأول : لقد أحسنت القول ، ياشيريا . وصنعت حسناً لأنك هديتنا ، فللفعل لم يحن الوقت بعد : لأن الشعب سيقف ضدنا ، إذا ماقمنا بذلك الآن . هل أنت على استعداد لكي تنتظر معنا اليوم المواتي ؟

شيريا : أجل . لندع كاليجولا يسير بنفسه على هواه . بل الأكثر من ذلك ، يجب علينا أن ندفعه إلى المزيد دفعاً . لنصفق لجنونه هذا . وسيصل اليوم ، الذي سيصبح فيه وحيداً أمام البلاد ، المقطونة بالموتى وأقرباء الموتى .

(بوادر موافقة من الجميع . تُسمع من الخارج أصوات أبواق . يعقبها صمت . وبعدها ، من فاه إلى فاه يتنقل اسم «كاليجولا») .

المشهد الثالث

(يدخل كاليجولا وسيزونيا وهيليكون بمرافقة الجنود . خشبة المسرح خرساء . يتوقف كاليجولا متمعناً وجوه الجميع . يمر من أمامهم وهو صامت . يصلح لأحدهم وضع بكلته ، يتراجع أمام آخر ليتفحصه بصورة أفضل ، ومرة أخرى يتمعنهم جيداً ، يغلق

عينيه بيديه ويخرج دون أن يتفوه بكلمة واحدة) .

المشهد الرابع

سيزونيا : (تشير إلى آثار الفوضى بسخرية) . أكنتم تتشاجرون ؟

شيريا : كنا نتشاجر . . .

سيزونيا : (بذات اللهجة) . من أجل ماذا تشاجرتم ؟

شيريا : تشاجرنا فحسب .

سيزونيا : هذه ليست الحقيقة .

شيريا : ماهي ، إذاً الحقيقة ؟

سيزونيا : إنكم لم تتشاجروا .

شيريا : إذن لم نتشاجر .

سيزونيا : **(مبتسمة)** . الأفضل أن تقوموا بترتيب المكان . فكاليجولا لايحب الفوضى .

هيليكون : (يوجه حديثه إلى النبيل المسن) . سينتهي الأمر بأن تخرجوه عن طوره .

النبيل المسن : ماذا صنعنا له ؟

هيليكون : في هذا ، أن لاشيء . فعقله لايحتمل أن تكونوا تافهين . وهذا أمر لايحتمله ! ضعوا أنفسكم في مكان كاليجولا **(برهة صمت)** . لعلكم شرعتم بتدبير مؤامرة . أليس الأمر كذلك ؟

النبيل المسن : هذا ليس من الحقيقة بشيء . صدقني . ماذا سيظن بنا ؟

هيليكون : هو لا يظن . إنه يعلم انكم تتآمرون . والواقع أنه في عمق روحه فرحاً ، بعض الشيء ، بذلك . لكن دعونا نتعاون لاعادة النظام .

(الجميع يشاركون في عملية النظافة والترتيب . يدخل كاليجولا ويراقبهم) .

المشهد الخامس

كاليجولا : **(يوجه حديثه للنبيل المسن)** . مرحباً يا عزيزتي ! **(ويتوجه الى الآخرين)** . قررت أن ارتاح قليلاً عندك ياشيريا . ياموسيوس ، سمحت لنفسي أن استدعي زوجتك . **(يصفق رئيس الديوان . يظهر عبدٌ ، غير أن كاليجولا يستوقفه)** دقيقة ، أيها السادة ! من المعلوم لكم أن ميزانيات دولتنا مستقرة فقط ، لأننا منذ قديم الزمان ، حافظنا على هذه العادة ، إلا أنه ومنذ البارحة ، أصبحت هذه العادة سقيمة . لهذا اصبحت مضطراً لدواعي الضرورة ، أن أقوم بتخفيض اطقم عناصر الخدمة . وانطلاقاً من روح التضحية ، التي دون أدنى مجال للشك تقدرونها جيداً ، قررت تخفيض مصاريف البلاط وتحرير عدد من العبيد واستبدالهم ببعض منكم . هيا ، باشروا بترتيب طاولات الطعام ووزعوا عليها الأطعمة .

(يسيطر الذهول على النبلاء) .

هيليكون : هيا ياسادة . اظهروا بعض القدرة على روح التطوع . إن الهبوط على السلم الاجتماعي أسهل من الصعود عليه . وهذا ماتعرفونه جيداً .

(يبرح النبلاء أماكنهم بتردد) .

كاليجولا : **(يوجه حديثه إلى سيزونيا)** كيف يعاقب العبيد المتذمرين ؟

سيزونيا : أظن ، جلداً بالسوط .

(يندفع النبلاء بصبر ويباشرون ترتيب الطاولات ، وتبدو خبرتهم ضحلة في ذلك) .

كاليجولا : اجتهدوا ، اجتهدوا ! فالأمر المهم في كل عمل ـ هو النظام ! **(يوجه حديثه إلى هيليكون)** . كانهم فقدوا الحذاقة ، على

ماأظن .

هيليكون : وإذا نطقنا بالحقيقة ، أية حذاقة كانوا يملكون ؟ أيتساوى التلويح بالسيف مع اصدار الأوامر . يجب التحلي بالصبر فحسب . يمكننا أن نصنع من الإنسان نبيلاً خلال يوم واحد ، أما لصناعة عامل فنحتاج إلى عشر سنين .

كاليجولا : ولكي نصنع عاملاً من نبيل ، أخشى أن نحتاج إلى أكثر من عشرين سنة .

هيليكون : على أية حال ، أرى أنهم يجيدون القيام ببعض الأمور . وأعتقد أن لديهم استعداد لمثل هكذا عمل ! وكأني بهم خُلقوا للعبودية فقط .

(يمسح أحد النبلاء وجهه)

انظر ، لدرجة أن العرق أخذ يتصبب منهم . وهذا يعني شيئاً ما .

كاليجولا : رائع . لاحاجة لطلب الكثير ، قد يكون ذلك أسوأ . إن العودة إلى العدل أحياناً ولو لبعض الوقت ، هو أمر ممتع . وبما أننا تطرقنا للعدل ، يجب علينا أن نسرع : هنالك في برنامج عملي لهذا اليوم ، عملية اعدام . لكن الجوع ينهشني ، وهذا من حسن طالع روفيوس . روفيوس ، ذاك الحدائقي ، الذي يجب أن يعدم . **(برهة صمت)** . لاتستفسروا مني عن الذنب الذي اقترفه لكي يعدم ؟

(يخيم الصمت على الجميع ، خلال ذلك ، يُحضر العبيد ألواناً مختلفة من الأطعمة) .

كاليجولا : **(تبدو دلائل طيبة على وجهه)** . أرى أنكم أصبحتم الآن أكثر ذكاءً . **(يمضغ حبة زيتون)** . وأخيراً أدركتم أنه ليس من الضروري أن يرتكب إثماً حتى يحكم على شخص ما بالاعدام .

ايها الجنود ، إنني راضٍ عنكم . حقاً ياهيليكون ؟ **(يتوقف عن المضغ وينظر إلى مؤاكليه بتهكم) .**

هيليكون : أجل ! وأي جنود ! لكن ، إذا اردت أن تسمع رأيي : إنهم أصبحوا أكثر ذكاءً ولايريدون القتال . فإذا أقدموا على تحقيق نجاحات كبرى أخرى ، فالامبراطورية سوف تنهار !

كاليجولا : رائع . والآن لنرتاح . تجلسوا كما تريدون ، ولننسى قواعد الاتيكيت . إن روفيوس سعيد الحظ ، وأظن أنه لايقدر هذه المماطلة حق قدرها . وأي أمر أعظم وأثمن من اختلاسك بضع ساعات من الموت ؟

(يباشر كاليجولا والآخرون الطعام . ويبدو واضحاً أنه لايراعي آداب الطعام . يقوم برمي أنوية الزيتونات في أطباق أطعمة من يجلس بجواره ، وقطعاً من اللحم ، غير ناضجة على المنضدة ، وفي نفس الوقت ، يقوم بتنظيف أسنانه بأظافره ويهرش رأسه بطريقة فاقعة الفجاجة . وكان يقوم بجميع تصرفاته هذه دون ارتباك أو تكلف . فجأة يتوقف عن الطعام ويسدد نظرة متمعنة إلى أحد مؤاكليه . هو ليبيدوس ويوجه الحديث إليه) .

كاليجولا : **(بوقاحة)** . يبدو أنك مضطرب . هل سبب اضطرابك هو العمل الذي اقدمت عليه ، حينما قتلت ابنك ياليبيدوس ؟

ليبيدوس : **(يتكلم وكأن هنالك كتلة في حلقة)** . فيما تفكر ياكايوس ؟ على العكس تماماً .

كاليجولا : **(باستهزاء)** . على العكس ! آخ ، كم يعجبني حينما لاتشير تعابير الوجه عن مايختلج في الصدر . وجهك حزين ، وماذا عن القلب ؟ إنه على العكس تماماً . ياليبيدوس ، أليس الأمر كذلك ؟

ليبيدوس : **(باصرار)** . على العكس ، أيها القيصر .

كاليجولا : **(أكثر غبطة)** . أخ ، لاأحب أحداً أكثر منك ياليبيدوس . تعال ، لنضحك معاً . هلم ، قص عليَّ قصة مرحة .

ليبيدوس : **(مستجمعاً قواه)** . كايوس !

كاليجولا : حسن ، سأقص أنا . لكنك ستضحك ، أليس كذلك ياليبيدوس ؟ **(نظرة حاقدة)** . على الأقل من أجل ابنك الثاني . **(يضحك من جديد)** . ثم أنك غير مقتضب الوجه **(يلعق جرعة من الخمر)** بل على العكس ، انطق ياليبيدوس !

ليبيدوس : **(علائم تعب تبدو على وجهه)** . على العكس ، ياكايوس .

كاليجولا : ممتاز . **(يشرب من جديد)** . والآن اصغي إليَّ **(حالماً)** في يوم من الأيام ، كان هنالك امبراطور فقير ، لم يحبه أحد . أما هو ، فكان يحب ليبيدوس وأمر بقتل ابنه الأصغر ، لينتزع الحب من قلبه . **(يغير لهجته)** . أجل ، هذه ليست الحقيقة أليس هذا مضحكاً ؟ لماذا لاتضحك ؟ لماذا لا أحد يضحك ؟ إذن اسمعوا **(بحقد واضح)** . أريد أن يضحك الجميع . أنت ياليبيدوس والآخرون جميعاً ، قفوا واضحكوا . **(يدق بقبضته على الطاولة)** . اتسمعون ! أريد أن أرى كيف تضحكون . **(يقف الجميع . يتحرك جميع الممثلين ماعدا كاليجولا وسيزونيا حركات عرائس دمى المسرح)** .

كاليجولا : **(من شدة الضحك الذي استولى عليه ، يرمي نفسه فجأة على الأريكة)** . لا ، انظري أنت إليهم ياسيزونيا . لم يبق أي شيء . لا الشرف ولا الوقار ولا الاسم الطيب ولا الحكمة الأزلية ، ولم تعد هذه الخصال تعني أي شيء . جميعها تختفي أمام الجزع . نعم الجزع ياسيزونيا ، إنه احساس عال لاتعتريه أية شوائب ، إنه نقي وخالٍ من الطمع . إنه أحد أهم المشاعر الفاضلة التي لم

تمس . **(يمسح جبينه بيده ويقول بمودة)** والآن لنتحدث عن أمر آخر . ياشيريا ؛ مادهاك ، لماذا أنت صامت ؟

شيريا : سأتحدث ياكايوس ، حالما تأذن لي بذلك .

كاليجولا : رائع . فلتخرس إذن . أرغب الاستماع لصديقنا موسيوس .

موسيوس : **(بصعوبة)** . أنا رهن اشارتك ، ياكايوس .

كاليجولا : حدثنا عن زوجتك . وقبل أن تباشر بذلك ، دعها تجلس هنا ، إلى اليسار مني . . .

(تقف زوجة موسيوس وتدنو من كاليجولا)

موسيوس : **(باضطراب)** : عن زوجتي ؟ إنني أحبها . **(يضحك الجميع)** .

كاليجولا : هذا مفهوم ، مفهوم ، أيها الصديق . لكن كيف حدث ذلك ؟

(أصبحت زوجة موسيوس إلى جانبه . يقوم بلثم كتفها الأيمن دون تكلف وذهنه مشتت) .

أكنتم تتآمرون عليَّ ، حينما دخلت ؟ نعم ! على الأغلب ، أكنتم تحيكون مؤامرة ؟ أليس كذلك ؟

النبيل المسن : حاشا ياكايوس ، كيف تستطيع أن تظن بنا ؟

كاليجولا : كلام فارغ ، يافاتنتي ! يجب أن تعود الشيخوخة إلى رشدها . نعم ، هذا جميعه هراء . إنكم عاجزون عن القيام بأي عمل رجولي . نعم ، تذكرت فجأة أن هناك بعض من أعمال الدولة ، يتوجب عليَّ القيام بها . لكن قبل ذلك ، يجب أن نلبي بعض الحاجات الغريزية ، التي أهدتها لنا الطبيعة .

(يقف وتقف زوجة موسيوس ، ويتوجهان إلى غرفة مجاورة)

المشهد السادس

(يحاول موسيوس الوقوف)

سيزونيا : **(تبدو علامات طيبة على وجهها)** . أريد أن أشرب قليلاً من هذا النبيذ الفاخر ، ياموسيوس .

(يقوم موسيوس بسكب كأس من النبيذ لسيزونيا . يظهر على الجميع الحرج . تقرقع الكراسي . ويدور ماالحق من حديث بجهد النفس) .

سيزونيا : ماذا ياشيريا ؟ أبوسعك أن تحدثنا عن السبب ، الذي دعاكم للشجار هنا ؟

شيريا : **(ببرودة)** . ياعزيزتي سيزونيا ! كان الجدل يدور حول ماإذا كان الشعر يستحق أن يكون سبباً للموت أم لا .

سيزونيا : ما أمتع هذا ؟ أجل ، إنه فوق مقدراتي على الادراك كإمرأة ! إلا أن مايدهشني ، هو أنكم تستطيعون الشجار أحدكم مع الآخر دفاعاً عن الفن .

شيريا : **(بدهاء)** . بلا ريب . حدثني كاليجولا مرة قائلاً : في أي نفاح ، يجب أن يكون هنالك شيء من القسوة .

هيليكون : وفي الحب ـ بعض من الاكراه .

سيزونيا : **(تمضغ طعاماً)** . هذا رأي فيه من الصواب . مارأي الآخرين ؟

النبيل المسن : إن كاليجولا ـ عالم نفس كبير .

النبيل الأول : إنه رائع الحديث ، حينما يكون عن الشجاعة والبسالة .

النبيل الثاني : ويجدر به أن يجمع كل افكاره ويسجلها ، حيث ستكون كتاباً منقطع النظير .

شيريا : غير متحدثين ، أن هذا الأمر يمتعه . فهو بحاجة إلى التسالي .

سيزونيا : **(تتابع تناول الطعام)** . ستفرحون حينما تعلموا أنه فكر بهذا الأمر . حيث يقوم في هذه اللحظة ، بكتابة بحث كبير .

المشهد السابع

(يدخل كاليجولا وزوجة موسيوس) .

كاليجولا : هاأنذا أعيد إليك زوجتك ياموسيوس . من جديد ، هي لك . استميحكم عذراً ، لأن هنالك بعض الأوامر تنتظر الاصدار من قبلي . **(يخرج مهرولاً) .**

المشهد الثامن

سيزونيا : **(توجه حديثها إلى موسيوس ، الذي ظل واقفاً شاحب الوجه) .** نحن لانشك ، ياموسيوس ، أن هذا البحث سوف يعلو شأواً أكثر الابداعات شهرة .

موسيوس : **(ناظراً باتجاه الباب ، الذي اختفى منه كاليجولا) .** عن ماذا يجري الحديث في البحث ياسيزونيا ؟

سيزونيا : **(بلا مبالاة) .** إنه عن أمر لاأستوعبه .

شيريا : يجري الحديث باختصار ، عن القوة القاتلة للشعر .

سيزونيا : أظن الأمر كذلك .

النبيل المسن : **(بفرح) .** أجل ! مثل هذا الأمر ، قد يشغله . إن شيرياعلى حق .

سيزونيا : أجل يافاتنتي . لكن أخشى أن يدهشكم عنوان البحث .

شيريا : وماهو ؟

سيزونيا : «السيف» .

المشهد التاسع

(يدخل كاليجولا مندفعاً) .

كاليجولا : استميحكم عذراً ، فأمور الدولة لاتحتمل التأجيل . يارئيس الديوان ! أصدر أمراً يقضي بإغلاق صوامع الحبوب فوراً . للتو وقعت مرسوماً بهذا الخصوص ، تجده في غرفة نومي .

رئيس ديوان الامبراطور : ولكن . . . .

كاليجولا : منذ الغد ، ستبدأ المجاعة .

رئيس ديوان الامبراطور : لكن الشعب سيتذمر .

كاليجولا : **(بحدة وجلاء)** . قلت : منذ الغد ستبدأ المجاعة . والجميع يعرف معنى المجاعة : إنها كارثة وطنية . وستبدأ هذه الكارثة الوطنية غداً . . . وسأقوم بإيقافها ، متى أرى ذلك مناسباً . **(يوجه كلامه إلى الحضور شارحاً)** . أخيراً ، لم يبق عندي أساليب كثيرة للبرهان على أني حر . لقد جرت العادة أن يصبح الناس أحراراً ، على حساب حريات الآخرين . هذا أمر مهين ، إلا أنه من طبيعة الأشياء . **(يوجه نظره إلى موسيوس)** . خذوا على سبيل المثال ، الغيرة . عندها ستتأكدون أنني على حق ، **(حالماً)** على الرغم من أن الغيرة ـ هي من الأمور القبيحة ! إنها معاناة من أجل النرجسية وزيادة في أوهام المشاعر ! تصور نفسك في مكان امرأتك . . . **(يضغط موسيوس إحدى قبضتيه بالأخرى ويفتح فاه ، كأنه يريد أن يقول شيئاً)** .

كاليجولا : **(مبادراً)** . لنتناول الطعام أيها السادة . هيا إلى المائدة . هل تجهلون أني وهيليكون نداوم على العمل دون فتور . إننا نقوم بإنهاء بحث صغير عن «الموت اعداماً» . وسوف تدلون بدلوكم فيه .

هيليكون : حتى لو كانت آراؤكم مخالفة .

كاليجولا : سوف نكون رحماء ، ياهيليكون ! سوف نبوح إليهم بأسرارنا الصغيرة . وهكذا ، الفقرة الأولى من الفصل الثالث . هيا ياهيليكون ، اقرأ :

هيليكون : (**يقف وينشد بصورة آلية**) . «يجلب الموت اعداماً الفرج والانعتاق . هو تدبير شامل منشط وعادل ، إن كان في تنفيذه أم في أهدافه . يموت الناس لأنهم مذنبون . والناس مذنبون لأنهم من رعايا كاليجولا . والجميع هم أتباع كاليجولا . إذن ، الجميع مذنبون . وهذا يعني أن الجميع سيموتون . وماهذا إلا مسألة وقت وصبر» .

كاليجولا : (**ضاحكاً**) ماالذي تقولونه فيما سمعتم ؟ الصبر ، إنها لقية باهظة الثمن ! وإذا اردتم الحقيقة : إنها أكثر مايعجبني فيكم . والآن ، ايها السادة ، يمكنكم الانصراف . لايريد شيريا أن يعتقكم أكثر من ذلك . لكن ليبقى سيزونيا وليبيدوس وأوكتافيوس وميريا أيضاً . أريد أن أبحث معهم ، كيف تسير الأمور في دار البغاء ، التي دشنتها . لأن هذه الأمور تثير كثير امتعاضي .

(يغادر البقية وهم يسيرون الهويني . يودع كاليجولا موسيوس بنظره) .

المشهد العاشر

شيريا : نحن تحت امرتك ، ياكايوس ! ماالذي يسير على ما لا يُرام هناك ؟ هل الأطقم لاتعمل حسناً ؟

كاليجولا : نعم ، لا ، لكن الايرادات قليلة .

ميريا : يجب رفع التسعيرة .

كاليجولا : أرى أنك نسيت حالة الصمت ، ياميريا . من هم في مثل عمرك ، لايجوز لهم الاقدام على مثل هذه التصرفات . وأنا لم أطلب ذلك .

ميريا : لكن ، لماذا طلبت مني البقاء ؟

كاليجولا : لأنه سرعان مااحتاج إلى نصيحة غير متميزة .

شيريا : إذا سمحت لي بالحديث ياكايوس ، أريد أن أقدم نصيحة غير متميزة أقول فيها : لاحاجة أو أهمية لرفع التسعيرة .

كاليجولا : أجل ، غير أننا نحتاج لاصلاح أمورنا المالية . كنت قد شرحت خطتي لسيزونيا ، وهاهي بدورها ستعرضها عليكم . أما أنا فقد تناولت كثيراً من المشروبات وأرى أنني أميل إلى النوم . (**يضطجع ويغلق عينيه**) .

سيزونيا : الأمر شديد البساطة . أنشأ كاليجولا وساماً جديداً .

شيريا : لاأرى أية صلة بين هذا وذاك .

سيزونيا : ومع ذلك ، هنالك صلة قوية . سوف يسمى هذا الوسام ، وسامَ «البطولة الأهلية» . سيناله المواطنون الأكثر مداومة على ارتياد دار البغاء .

شيريا : فكرة رائعة .

سيزونيا : وأنا أظن ذلك أيضاً . نسيت أن أعلمكم بأنه سيجري تقليد الوسام شهرياً ، بعد كل عملية من عمليات جرد بطاقات الدخول . والمواطن الذي لن ينال هذا الوسام خلال اثني عشر شهراً ، سوف يحكم بالنفي أو الاعدام .

ليبيدوس : ماذا ؟ «الاعدام» ؟

سيزونيا : لأن كاليجولا يظن ، أن الأمر سيان . والأهم من ذلك أنه يمكنه الاختيار .

شيريا : برافو . نعم المشروع . والآن سوف تغنى الخزينة .

هيليكون : والأهم ـ أن ينفذ بأسلوب رفيع الأخلاقية . في نهاية المطاف ، الأفضل أن تجبى الضرائب من النبي ، لأن تدفع من أجل الفضيلة . هكذا تسير الأمور في الدول ذات الحكم الجمهوري .

(يفتح كاليجولا عينية بالتدريج وينظر إلى ميريا المسن ، الذي كان يقف جانباً حاملاً زجاجة آخذاً منها جرعة) .

كاليجولا : **(لايزال مضطجعاً)** . ماذا تشرب ياميريا ؟

ميريا : إنه دواء للربو ياكايوس . . .

كاليجولا : (يدنو منه دافعاً الآخرين ويشم رائحة الزجاجة) . كلا ، إنه الترياق .

ميريا : ماذا ياكايوس ؟ هل تمزح ؟ يصعب تنفسي ليلاً لدرجة أنني أكاد أختنق . ومنذ زمن طويل وأنا أتداوى .

كاليجولا : إذن ، أنت تخشى أن يدس لك السم ؟

ميريا : إنه الربو . . .

كاليجولا : كلا . يجب أن نسمي الأشياء بأسمائها . تخشي أن يدس لك السم . إنك تثير ارتيابي . أنت تراقبني .

ميريا : كلا ، كلا . أُقسم لك بجميع الآلهة !

كاليجولا : أنت لاتثق بي . ومهما يكن من أمر ، فإنك تخشى على نفسك مني .

ميريا : كايوس !

كاليجولا : **(بخشونة)** . أجب ! **(هيئة من يحاول البرهنة رياضياً)** بما أنك تتناول ترياقاً ، فإنك تظن بأنني أعقد النية على دس السم لك .

ميريا : نعم . . . أي . . . أن . . . كلا .

كاليجولا : وكأنك افترضت ، إنني اتخذت قراراً بدس السم لك ، وهاأنت

تصنع المستحيل لكي تقاوم اراداتي .

(يخيم الصمت . غاص كل من سيزونيا وشيريا في عمق خشبة المسرح منذ بداية الحديث السابق . وليبيدوس وحيداً يستمع إليه وهو بحالة اضطراب) .

كاليجولا : **(يحاكم الأمور بتسلسل أكثر منطقية)** . إذن لدينا جريمتان وخيار وحيد لاتستطيع التهرب منه : إما إنني لم أكن أريد قتلك وأنت تشك بي ظلماً وعدواناً وأنا الامبراطور . أو أنني عزمت على قتلك وأنت ، أنت الحشرة الوضيعة ، تريد التصدي لارادتي .

(برهة صمت . يتأمل خلالها كاليجولا الرجل المسن وهو منشرح الصدر) .

ماذا تقول ياميريا ، بخصوص هذا المنطق ؟

ميريا : إنه . . . . إنه لاغبار عليه ياكايوس . غير أنه لاينطبق على حالتي .

كاليجولا : والجريمة الثالثة - هي أنك تعتبرني معتوهاً . والآن اصغ إليَّ . من بين هذه الجرائم الثلاث ، الأولى والثانية تجعلانك شريفاً . لأنك سرعانماافترضت أنني اتخذت قراراً ما وقمت بالوقوف في وجه تنفيذه . وهذا يعني أنك متمرد . أنت زعيم انتفاضة . أي ، أنك ثوري . هذا شيء رائع . **(بكآبة)** . أحبك جداً ياميريا . لهذا سوف تحاكم على جريمتك الثانية ، لا على الجرائم الأخرى .

سوف تموت كالرجل العاصي .

(أثناء هذا الحديث ، أخذ ميريا يغوص بالتدريج في مقعده) .

كاليجولا : **(فاقداً صبره)** . هيا ، هيا بسرعة .

(يحاول ميريا الهرب . يقوم كاليجولا بقفزة وحشية إلى منتصف خشبة المسرح ، يجر ميريا ويرميه على مقعد وطيء ، وبعد عدة دقائق من المقاومة العنيفة يتمكن من أن يفرغ

محتويات الزجاجة في فمه عبر أسنانه ويحطمها بعد ذلك بقبضته . يموت ميريا بعد تشنجات قليلة وجسمه مغطى بالدم والدموع . يقف كاليجولا ويمسح يديه بصورة آلية) .

كاليجولا : (يقدم إلى سيزونيا شظايا الزجاجة التي كان يحملها ميريا) ماهذا ؟ أليس ترياقاً ؟

سيزونيا : (بهدوء) . لا ياكاليجولا . بل هو دواء لعلاج الربو .

كاليجولا : (ينظر إلى ميريا بصمت) . سيان .ماالفرق ؟ سيأتيه الموت إن عاجلاً أم آجلاً . . .

(يخرج بغتة ــ هيأته متعبة ، غير متوقف عن فرك يديه) .

المشهد الحادي عشر

ليبيدوس : (كالواهن والمحطم نفسياً) مايجب عمله الآن ؟

سيزونيا : (في بساطة) . أظن ، أنه يجب ابعاد الجثة قبل أي شيء آخر ، لأنها أوشكت أن تصبح جيفة .

(شيريا وليبيدوس يرفعان الجثة ويحملانها إلى خارج خشبة المسرح) .

ليبيدوس : (موجهاً حديثه إلى شيريا) . يجب الاسراع . يجب الاسراع .

شيريا : يجب أولاً أن نحاول تجميع حوالي مئتي رجل .

(يدخل سيبيون . لكنه عندما يلمح سيزونيا ، يتراجع متوجهاً إلى الخارج) .

المشهد الثاني عشر

سيزونيا : تعال إلى هنا !

سيبيون : ماذا تريدين ؟

سيزونيا : اقترب . **(تمسكه من لحيته وتنظر إلى عينيه . برهة صمت . وتقول ببرودة)** . أَقَتَلَ أباك ؟

سيبيون : أجل !

سيزونيا : أتحقد عليه ؟

سيبيون : أجل !

سيزونيا : هل تريد قتله ؟

سيبيون : أجل !

سيزونيا : **(تعتقه)** . ولماذا تفصح لي عن هذا الأمر ؟ . . . .

سيبيون : لأنني لاأخشى أحداً . أقتله أم أُقتل أنا - إنها طرق مختلفة للخلاص . هل ستغدرين بي ياسيزونيا .

سيزونيا : أنت على حق . لن أغدر بك . لكنني أريد أن أقل لك شيئاً ما - والأصح ، أنني أرغب بمناشدة أفضل شيء فيك .

سيبيون : أفضل مافي نفسي - الكراهية .

سيزونيا : ومع ذلك اصغ إليَّ . ماأريد أن أحدثك به واضح ، إلا أنه في الوقت نفسه ، مستحيل التحقيق . فإذا أدركت ماسأقوله لك ، ستصبح قادراً على تحقيق الثورة وقلب هذا العالم رأساً على عقب .

سيبيون : انطقي بما تريدين .

سيزونيا : ليس الآن . وقبل ذلك ، فكّر في الألم الذي كسى وجه أبيك ، بعدما قطع لسانه . فكر في فمه الذي كان مليئاً دماً وفي تلك الصرخة ، التي أطلقها آنذاك . كانت شبيهة بصرخة حيوان يتعذب .

سيبيون : أجل . . .

سيزونيا : والآن ، فكّر في كاليجولا .

سيبيون : **(بصوت مليء بالحقد وبالكراهية)** . أجل . . .

سيزونيا : والآن ، استمع جيداً : حاول أن تفهمه . **(تخرج تاركة سيبيون بحالة فقدان توازن)** .

(يدخل هيليكون) .

المشهد الثالث عشر

هيليكون : إن كاليجولا قادم إلى هنا . ألا تريد تناول طعام الغداء أيها الشاعر ؟

سيبيون : ساعدني ياهيليكون !

هيليكون : هذا أمر شديد الخطورة ياعزيزي . ثم أن ذوقي عصيٌ جداً في استمراء الشعر .

سيبيون : بل ، وفي وسعك مساعدتي . إنك تعرف الكثير .

هيليكون : الذي اعلمه ، هو أن الأيام تمر وأنه يجب الاسراع بمباشرة الطعام . وأعلم أيضاً ، أنك قد تحاول قتل كاليجولا . . . وأن كاليجولا هذا . . . **(يدخل كاليجولا ويخرج هيليكون)** .

المشهد الرابع عشر

كاليجولا : هاأنت هنا . **(في حالة ضياع ، لايعرف كيف يتماسك)** مر وقت طويل عليَّ لم ارك فيه . **(يدنو منه ببطء)** . ماذا تعمل ؟ ألم تنفك عن الكتابة ؟ هل لك أن تطلعني على آخر أعمالك ؟

سيبيون : **(في حالة ضياع ، تتنازعه مشاعر الكراهية وغيرها من المشاعر ، التي لايعرف دوافعها)** .

كتبت بعض القصائد ، أيها القيصر .

كاليجولا : ماهو موضوعها ؟

سيبيون : لاأدري ، أيها القيصر . اظنها عن الطبيعة .

كاليجولا : (**بحرية أكثر**) . فن رائع رحب . ماذا أوحت إليك به الطبيعة ؟

سيبيون : (**يستجمع قواه ويقول بتهكم وحقد**) . إنها تثير سلواي ،لأنني لست قيصراً .

كاليجولا : ها ! كيف ترى ، أتستطيع أن تثير سلواي أنا أيضاً كوني قيصراً ؟

سيبيون : (**بنفس اللهجة السابقة**) . إنها تشفي من أكثر الجراح عمقاً .

كاليجولا : (**في اندهاش**) . جراح ؟ قد نطقت بهذا حاقداً . أفعلت ذلك ، كوني قتلت أبيك ؟ لكنك ، لو تعلم مقدار وقع هذه الكلمة . جراح ! (**يغير لهجته**) . إن الكراهية فقط ، هي التي تجعل الناس أكثر ذكاءً .

سيبيون : (**بصوت عدائي وبارد**) . إنما أجبت على سؤالك عن الطبيعة .

(يجلس كاليجولا ، يتمعن سيبيون ، بعد ذلك يمسكه من يديه فجأة ويجذبه إليه ويجلسه عند قدميه ويضغط وجهه بين راحتيه) .

كاليجولا : أنشدني اشعارك .

سيبيون : لا ، أيها القيصر . أتوسل إليك .

كاليجولا : لماذا ؟

سيبيون : إنها غير موجودة معي الآن ؟

كاليجولا : ألا تحفظها عن ظهر قلب ؟

سيبيون : كلا .

كاليجولا : حدثني ، على الأقل ، عما تتحدث .

سيبيون : (**مضطرباً أيضاً وبمظهر الذي لايرغب**) . قلت فيها . . .

كاليجولا : نعم ؟

سيبيون : كلا ، لاأذكر .

كاليجولا : حاول . . .

سيبيون : أتحدث عن التوافق السري بين الأرض . . . .

كاليجولا : **(يقاطعه وهو غارق في افكاره)** . . . بين الأرض والمراحل . . .

سيبيون : **(مرتبكاً ومتردداً)** . أجل ، إنها كذلك . . .

كاليجولا : تابع .

سيبيون : . . . وعن معالم المعابد الرومانية ، وعن الهدوء المنعش ، الذي يحمله لنا المساء . . . .

كاليجولا : . . . عن هديل الحمام في سماء خضراء .

سيبيون : **(بطلاقة)** . أجل ، وعن هذا .

كاليجولا : تابع .

سيبيون : وعن اللحظة الواهية ، عندما تكون السماء لاتزال ترتدي حلة من الذهب ، وفجأة تعرض علينا وجهها الآخر المعاكس ، الذي تتناثر فيه نجوم لامعة .

كاليجولا : عن رائحة الدخان ، والغابات والأنهر ، عندما تسير الأرض الهوينا لاستقبال الليل . . .

سيبيون : **(بنشوة روحية)** . . .

تصفر الزيزان .

وينقشع حر النهار .

وصرير العربات المتأخرة .

وأصوات الفلاحين . . .

كاليجولا : . . وطرق مغطاة بظلال أشجار التين والزيتون . . .

سيبيون : أجل ، أجل ، هذا صحيح ! لكن ، كيف حزرت ذلك ؟

كاليجولا : **(شاداً سيبيون إلى جسمه)** . لاأدري . ربما لأن دروبنا واحدة وتتجه إلى ذات الحقيقة .

سيبيون : **(يسند رأسه على رأس كاليجولا ، متأثراً بهذا الكلام)** آخ ، أليس

بالامكان أن أرى ماحولي كله يعج بالحب !

كاليجولا : **(يتمعنه في رأسه)** .هذه من خصال كل قلب عظيم ياسيبيون ! آه ، لو كان بمقدوري أن أتعرف إلى أرواح صافية طاهرة ! إلا أنني متيقنٌ كم هو عطشي للحياة شديداً ، إلى تلك الدرجة ، التي لايمكن فيها اطفائه . أنت لاتستطيع أن تدرك ذلك . أنت من عالم آخر . إنك تنتمي إلى الحيز النقي ، أما أنا فأنتمي إلى الشر الصافي .

سيبيون : أستطيع أن أدرك ذلك .

كاليجولا : كلا . يجري في داخلي نهر صامت وتنفر منه ينابيع آسنة . . . **(يغير نبرة صوته فجأة)** . أظن أن أشعارك رائعة . لكن إذا رغبت بمعرفة رأيي . . .

سيبيون : **(على ذات الهيئة السابقة)** . أجل .

كاليجولا : كل هذا يعاني من شح الدماء !

(ينتفض سيبيون إلى الخلف . وينظر إلى كاليجولا برعب . يتحدث بصوت منخفض متابعاً ابتعاده عن كاليجولا ويتمعنه باضطراب) .

سيبيون : ياللوحش . ياللوحش الفظيع ! لقد حطمت هذه الكوميديا من جديد . الآن حطمت الكوميديا ، أليس كذلك ؟ وأنت على أشد الرضى عن نفسك ؟

كاليجولا : **(لابأس)** . إن ماقلته بخصوص تحطيمي للكوميديا ، هو الحقيقة بعينها . أنا حطمت الكوميديا ، أجل ياسيبيون !

سيبيون : **(بنفس اللهجة)** . ماهذا القلب العدواني الدموي الذي تحمله بين حناياك . إن الشر والكراهية ، هما مايجري في دمك فقط !

كاليجولا : **(بلطف)** . كفى . صه . . .

سيبيون : إنني أشفق على حالك ، أكرهك كثيراً ياكايوس !

كاليجولا : **(بغضب)** . اخرس .

سيبيون : إنك تعيش في وحدة موحشة !

كاليجولا : **(يندفع رامياً جسمه إليه ويمسكه من تلابيبه ويهزه هزاً عنيفاً)** . الوحشة ! هل جربتها ؟ أية وحشة ؟ أنت لاتفرق بين الوحدة والوحشة أبداً ! إننا نحمل دائماً معنا جميع أوزار الحاضر والماضي ! أولئك الذين قتلناهم . وهذا ليس أفظع الأمور . ونحمل معنا أيضاً منْ أحببنا ومن كرهنا ، من أحبّنا وأمنياتنا ومراراتنا ، لطفنا وكل ماارتكبته الآلهة من آثام . **(يتركه ويعود إلى مكانه)** . كن وحيداً ! إن لدي قدرة كافية على تحمل الوحدانية ، لاعلى أنها كراهية وجود الآخرين ، بل تلك الوحدانية الحقيقية ، عندما يسير الهدوء مراقصاً الأشجار ! **(يجلس فجأة منهكاً)** . لاياسيبيون ! الوحشة تخترق كل شيء ، صرير الأسنان ، كل مايرن بأصوات وحناجر خافتة ، حتى النسوة الملعونات ، اللواتي ألاطفهن عندما يخيم الظلام وأسلبهن الشهوات . إن وحدتي ياسيبيون تطفو حتى حوافها بروائح حادة من المتع في أحضان النساء الحالمات .

(كأنه يزفر . برهة طويلة من الصمت) .

(ينحرف سيبيون خلف كاليجولا ويدنو منه . يمد يده إلى كتفه ويتكأ عليه ، أما كاليجولا فيمسك بيده دون أن يستدير) .

سيبيون : لكل انسان سلواه في هذه الحياة . وهذه السلوى بالذات هي التي تجبرك على أن لاترمي كل شيء . والناس عندما تخور قواهم يبحثون عنها كي تمد لهم يد العون .

كاليجولا : إنها الحقيقة بعينها ، ياسيبيون .

سيبيون : ألم تتعرف في حياتك على شيء من هذا ؟ دموع مدرارة وملجأ هادئ .

كاليجولا : بلى . . .

سيبيون : ماهو ؟

كاليجولا : **(في تؤدة)** الازدراء . .

تسدل الستارة . . .

الفص الثالث

المشهد الأول

(قبل رفع الستارة ، يُسمع قرع طبول وقرقعة صنوج . ترفع الستارة لنجد أنفسنا أمام سرادق وكأننا في السوق . في الوسط الستارة مغلقة ويقف أمامها هيليكون وسيزونيا على منصة صغيرة . وعلى جانبيهما يقف موسيقيون يحملون الصنوج . أما النبلاء ومعهم سيبيون فيجلسون على مقاعد طويلة وظهرهم إلى الجمهور)

هيليكون : **(يدعو كمن يجلس في السوق)** : اقتربوا ! اقتربوا ! **(رنين صنوج)** .

لقد هبطت الآلهة من جديد على الأرض . كايوس هو القيصر والإله ، المشهور باسم كاليجولا . . . اقتربوا ، شاهدوا بأم أعينكم حفلات موت وأعاجيب مقدسة ، لحظوة صاحب الجلالة كاليجولا ، وأسراراً ربانية ، يماط اللثام عنها لكل منكم على حدة وللجميع في آن . **(رنين صنوج)** .

سيزونيا : اقتربوا ياسادة ! قدموا آيات الخشوع وادفعوا ماتقدرون عليه . اليوم ستشاهدون مسرحية ربانية .

هيليكون : الأولمب وحياته السرية ، دسائسه ودموعه وقاطنيه في كل بيت .
اقتربوا ! اقتربوا ! جميع الحقائق عن آلهتكم ! **(رنين صنوج)**
سيزونيا : قدموا آيات الخشوع وادفعوا نقوداً . اقتربوا ياسادة ! سيبدأ العرض .
(رنين صنوج . يتقدم العبيد وهم يحضرون إلى المنصة الصغيرة أشياءً متنوعة ويتراجعون) .
هيليكون : الحقائق المريعة . لأول مرة ، تشاهدون قوى السماء ، هنا على الأرض ، بكل عظمتها تختطف أشباح الوحوش : الصاعقة ، **(يشعل العبيد مشاعل اغريقية)** ، **البرق (يدحرجون براميلاً صغيرة مليئة بالأحجار)** ، **القدر ذاته في بهجة احتفالية ! اقتربوا وشاهدوا !**
(تزاح الستارة الوسطى ، فيظهر كاليجولا على منصة مرتدياً ملابس فينوس بشكل بهلواني) .
كاليجولا : **(بلطف)** . اليوم أنا ـ فينوس !
سيزونيا : تبدأ طقوس تقديم الولاء وذلك بالانحناء حتى الركب .
(يسجد الجميع على ركبهم ماعدا سيبيون)
وكرروا خلفي الصلاة المقدسة : كاليجولا ـ فينوس ، آلهة الرقص والشجن . . .
النبلاء : آلهة الرقص والشجن . . .
سيزونيا : حفيدة الأمواج المتمخضة بالمرارة واللزوجة من أملاح وزَبَد البحر . . . .
النبلاء : حفيدة الأمواج المتمخضة بالمرارة واللزوجة من أملاح وزبد البحر . . .
سيزونيا : أنتِ البسمة والرحمة .
النبلاء : أنتِ البسمة والرحمة .

سيزونيا : . . . الظلم والابتهاج . . . .

النبلاء : الظلم واللابتهاج .

سيزونيا : علمينا عدم المبالاة بالحب المتوقد . . .

النبلاء : علمينا عدم المبالاة بالحب المتوقد . . . .

سيزونيا : أرشدينا إلى حقيقة هذا العالم ، الذي انعدمت فيه كل حقيقة . . .

النبلاء : أرشدينا إلى حقيقة هذا العالم ، الذي انعدمت فيه كل حقيقة . . . .

سيزونيا : وأنعمي علينا بالقوة ، لنصبح جديرين بهذه الحقيقة غير العادلة . . .

النبلاء : وأنعمي علينا بالقوة لنصبح جديرين بهذه الحقيقة غير العادلة . . . . .

سيزونيا : إستراحة .

النبلاء : استراحة .

سيزونيا : **(تعود إلى الدعاء)** . هبينا من هداياك . إلفحي وجوهنا بمعالم قسوتك الرهيبة وبُغْضَكِ العجيب واقذفي عيوننا بحفنات من الورود والموت .

النبلاء : . . . حفنات كثيرة من الورود والموت .

سيزونيا : انظري في أمر عبيدك الضالين المحمومين ، وانزلي بهم العذاب للامبالاتهم ولحبهم الضنين . وزعي عليهم آيات الجزع والحزن لأيما سبب واغمرينا بالأفراح التي لامستقبل لها .

النبلاء : واغمرينا بالأفراح التي لامستقبل لها . . .

سيزونيا : **(بصوت عال يشبه الصراخ)** . أنت أيتها المكتسحة المحرقة . يامن لست من صنو البشر ، لكنك على الأرض ، أغرقينا بالخمور اكراماً لنا على لامبالاتنا واحبسينا في قلبك المظلم القذر وإلى الأبد .

النبلاء : أغرقينا بالخمور إكراماً لنا على لامبالاتنا واحبسينا في قلبك المظلم القذر وإلى الأبد .

(عندما ينتهي النبلاء من ترديد آخر جملة من الدعاء ، يتقدم كاليجولا ، الذي كان طوال وقت الدعاء واجماً دونما حراك ، يتقدم وينفجر ضاحكاً ويتكلم بصوت جهوري) .

كاليجولا : أجل ، سنعمل على تحقيق دعاءاتكم ياأبنائي .

(يجلس على المنصة علي الطريقة التركية . ويتقدم النبلاء بالطابور ويسجدون واحداً تلو الآخر ويقدمون الدراهم . وقبل أن يغادروا يلتمون في الزاوية اليمنى من خشبة المسرح . أما الأخير منهم ــ فلهول الدهشة ــ ينسى أن يقدم الدراهم ، ولدى شروعه بمغادرة المكان ينتصب كاليجولا صائحاً) .

أنت ، هيه أنت ! عد إلى هنا ياصغيري ! إن السجود جميل ، لكن تقديم الدراهم أجمل . **(يعود ويقدم الدراهم معتذراً)** . شكراً . هذا حسن . فلو أن الالهة لم تمتلك كنوزاً ، سوى حب الموتى ، لبقيت فقيرة ككاليجولا الدرويش . والآن ، أيها السادة تستطيعون الانصراف واعلام المدينة عن الأعاجيب المدهشة ، التي تسنى لكم مشاهدتها . لقد شاهدتم فينوس ، وأدركتم بحواسكم جميعها عظمة فينوس ـ آلهة الرقص والشجن ، انصرفوا .

(ينوي النبلاء الخروج)

مهلاً ! اخرجوا من الباب الأيسر ، إذ ينتظرونكم عند الباب الأيمن جنود يحملون أوامر بقتلكم .

(يغادر النبلاء باضطراب ودون نظام . يختفي العبيد والموسيقيون من على خشبة المسرح) .

المشهد الثاني

(يشير هيليكون باصبعه مهدداً سيبيون)

هيليكون : ألا تزال فوضوياً ياسيبيون ؟

سيبيون : **(يوجه كلامه إلى كاليجولا)** . أنت تقوم بالتجديف على الآلهة ياكايوس .

هيليكون : ماالذي يعنيه هذا ؟

سيبيون : ملأت الأرض بالدماء ، والآن تزرع السماء قذارة .

هيليكون : هذا الفتى ، يتفوه بكلمات أكبر منه .

(يثبت جسمه على متكئه) .

سيزونيا : **(بهدوء مطلق)** . كم أنت مندفعاً أيها الصغير . في هذه الدقيقة ، يموت الناس في روما حتى لو نطقت ملامحهم كلاماً قليل الطراوة .

سيبيون : قررت أن أواجه كايوس بالحقيقة .

سيزونيا : لماذا . كاليجولا واعظ ، ولاينقصه مثل هذه الشخصية المزهوة بنفسها .

كاليجولا : **(باهتمام شديد)** . أهذا يعني أنك تؤمن بالآلهة ياسيبيون ؟

سيبيون : كلا .

كاليجولا : إذن . أنا لاأفهم لماذا تتحدث عن التجديف بشكل متوقد .

سيبيون : لاأستطيع أن أقاسمك القناعات ، وبالرغم من ذلك فأنا لاأسلب الآخرين قناعاتهم .

كاليجولا : هذا هو التواضع بعينه ، تواضع حقيقي ! آه ، ياعزيزي سيبيون ، كم أنا سعيد بك . وأنا أحسدك . وهذا الحسد ، هو الشعور الوحيد ،الذي لن أمتلكه قط .

سيبيون : أنت لاتحسدني ، بل تحسد الآلهة .

كاليجولا : إذا سمحت ، هذا سيبقى سراً عظيماً ، تبنى عليه سلطتي . وكل مايمكن أن أُلام عليه ، هو أنني تحركت قليلاً على طريق العظمة والحرية . والرجل الذي يحب السلطة ، تشغله مزاحمة الآلهة . وأنا انتهيت من هذه الحالة . وأثبت لهذه الآلهة الوهمية ، أنه إذا ما امتلك الانسان الارادة فسيغدو قادراً على ممارسة مهنتها السابقة ، دونما سابق اعداد .

سيبيون : وهذا مايدعى بالتجديف ، ياكايوس !

كاليجولا : لا ، ياسيبيون ! إنه التبصير . فقد أدركت أخيراً ، أن السبيل الوحيد لمضاهاة الآلهة ، هو أن تكون قاسياً مثلها .

سيبيون : أي ، أن تكون طاغية ، بما فيه الكفاية ؟

كاليجولا : ماهو الطاغية ؟

سيبيون : روح عمياء .

كاليجولا : هذا ، يحتاج إلى برهان ياسيبيون . الطاغية هو من يضحي بالشعوب لعرس نرجسيته . أنا لاأملك مبادئ ، لهذا لايوجد عندي أية مطامع . أنا أستخدم السلطة لمكافئة ذاتي وللتعويض فحسب .

سيبيون : على ماذا ؟

كاليجولا : على شر وبلادة الآلهة .

سيبيون : الشر لايُدرأ بالشر . والسلطة لاتحل مثل هذه المسائل . والذي أعرفه هو وسيلة واحدة ، هي الوقوف في وجه شرور العالم .

كاليجولا : كيف ، ماهي ؟

سيبيون : بالتطهر .

كاليجولا : (يطوي رجلاً على أخرى) . وينبغي أن نجرب هذا أيضاً .

سيبيون : وحتى يحين ذلك ، يموت حولك الكثيرون .

كاليجولا : في الحقيقة ، الأمر ليس كذلك تماماً ، ياسيبيون . أتعرف عدد الحروب ، التي رفضت خوضها ؟

سيبيون : كلا .

كاليجولا : ثلاث . أتعلم لماذا رفضت خوضها ؟

سيبيون : لأنك أردت أن تبصق على عظمة روما ؟ لأن هذه العظمة لاتعنيك .

كاليجولا : كلا ، بل لأنني أحترم الروح البشرية .

سيبيون : ها أنت تهزأ ياكايوس .

كاليجولا : أو بالحد الأدنى ، أحترمها أكثر من احترامي لإكليل غار النصر . ومع ذلك ، أنا لا أحترم حياة الآخرين أكثر من احترامي لحياتي . وماهان عليَّ القتل ، إلا لأنني استسهل الموت . أنت مخطئ ياسيبيون . فكلما تفرست بالأمر أكثر ، كلما اقتنعت أكثر أني لست بطاغية .

سيبيون : ما الفرق ، مادمت تكلفنا الثمن ذاته ؟

كاليجولا : **(يبدأ صبره بالنفاذ)** . لو أنك تجيد الحساب ، لأدركت أن أصغر الحروب ، التي يشنها طاغية عاقل ، كانت ستكلفكم أكثر بمئات المرات مما تكلفكم نزواتي وشهواتي الآن .

سيبيون : لكنها ستكون مدركة للعقل السليم . نعم لن تكون عصية عن الادراك .

كاليجولا : العقل لايدرك أحكام القدر . لذا جعلت من نفسي قدراً . وقررت تقمص صورة الالهة البلهاء ذات الطلاسم والتي اعتاد الاسبقون تقديسها .

سيبيون : وهذا هو التجديف بعينه ، ياكايوس !

كاليجولا : لا ، ياسيبيون ، إنه فن مسرحي . وخطيئة هؤلاء الناس جميعاً ، تكمن في عدم إيمانهم بالمسرح بما فيه الكفاية . فلو كان الأمر معاكساً ، لعرفوا أن اللعب بتراجيديا السماء والتحول إلى الالهة ـ هو أمر في غاية السهولة وبمقدور كل انسان أن يمارسه . وماعليه لصنع ذلك إلا أن يقتلع الرأفة من القلب .

سيبيون : قد تكون مصيباً . لكن ، إذا كانت تلك هي الحقيقة ، فلا بد أنك صنعت كل ماهو ضروري لكي تقف حولك تلال عظيمة من شاكلة هذه الآلهة الأرضية ، التي لاترحم . وخلال ساعة واحدة فقط ستغرق عظمتك الألوهية بالدم .

سيزونيا : كفى ياسيبيون . .

كاليجولا : **(مقاطعاً إياها بحدة)** . دعيه ياسيزونيا . ياسيبيون ، أنت لاتدرك معنى مانطقت به . أما ماصنعته أنا ، فقد اقتضته الأمور . وكم أقاسي حينما اتصور تلك اللحظة ، التي تتحدث عنها ، إلا أنني أحلم بها أحياناً وأشاهدها في جميع الوجوه ، التي تنبثق من هذا الليل الكالح وعلى هيئات الرجال ، التي تموج كراهيةً وانذاراً ، وخلالها أرى صورة ذلك الاله الأوحد ، الذي أخشع له على هذه الأرض :الرب الشرير والذليل ـ قلب الانسان . **(يرتجف)** . والآن أغرب عن وجهي . لقد افرطت بالحديث . (في لهجة أخرى) . يتوجب عليَّ أن أطلي أظافر قدمي بالصباغ وهذا أمر لايجوز تأجيله .**(يخرج الجميع ماعدا هيليكون ، الذي يحوم حول كاليجولا وكله رغبة بالقيام بمهمة طلاء أظافره)** .

المشهد الثالث

كاليجولا : ياهيلكون !

هيليكون : ماالخطب ؟
كاليجولا : اقترب ، هذه مهمتك .
هيليكون : أية مهمة ؟
كاليجولا : كيف ، أنسيت ادراك القمر ؟
هيليكون : **(يدنو رويداً)** . عليك بالصبر فقط . وددت التحدث إليك .
كاليجولا : الصبر لايعوزني . لكن ليس على حساب الوقت . يجب الاسراع ياهيليكون .
هيليكون : كنت قد وعدتك بأن أبذل غاية جهدي لتحقيق ذلك . إلا أنني بادئ الأمر سأطلعك على أمور هامة .
كاليحولا : **(كأنه لم يسمع)** . أتعلم أنني أدركته أكثر من أي وقت مضى .
هيليكون : مَنْ ؟
كاليجولا : القمر .
هيليكون : أجل ! أتعلم أن هنالك مؤامرة تحاك ضدك ؟
كاليجولا : بدا بدراً . نعم ، حدث هذا مرتين أو ثلاث فقط . إلا أنه كان لي .
هيليكون : منذ وقت طويل ، وأنا أحاول التحدث إليك .
كاليجولا : كان هذا في الصيف المنصرم . نظرت إليه ولاطفته وسجدت له على ركبتي . إلا أنه أدرك مرامي ، عندما اطلت النظر إليه ولمست جبينه بأصابعي ، ذلك الجبين الذي كان ساطعاً على أعمدة الحديقة .
هيليكون : دعنا من هذه اللعبة ياكايوس . لنفرض أنك لاتريد الاستماع إليَّ . سيان . لكن واجبي يدفعني إلى البوح . وإذا لم تُثر انتباهاً لحديثي فسيكون الأمر أسوأ .
كاليجولا : **(يتابع طلاء أظافر قدميه بدقة متناهية)** . لايصلح هذا الطلاء لأي

شيء . نعم ، دعنا نعود إلى القمر . حدث هذا في ليلة من ليالي آب الفاتنة .

(يظهر الضجر على وجه هيليكون ، يدير ظهره ويصمت ويتجمد في مكانه) .

في البدء ، تغنج قليلاً . وفي البدء أيضاً كان لونه أحمر كالدم ووقف تحت الأفق مباشرة . بعدها تسلق صاعداً بتسارع ثم توقف فجأة وكلما كان يصعد أكثر ، كلما لاح وضاءً . وكان كبحيرة حليب في ظلام دامس ، يعج بنجوم غامزة . وأخيراً ، ظهر في الهزيع الأخير من تلك الليلة الدافئة ، بدا لطيفاً ، رشيقاً وعارياً . قصد فراشي ودنا منه بثقة وهدوء ودخل تحته وغمرني بابتسامة مشرقة . **(كاليجولا متابعاً طلاء أظافره ، يقول بعصبية)** . أوه ، اللعنة ، إن هذا الطلاء لايصلح لأي شيء . أترى ياهيليكون ؟ إني أستطيع القول ، دون تبجح ، أن هذا القمر لي .

هيليكون : هل تريد أن تعلم ، أين مكمن الخطر عليك ؟

كاليجولا : (يتوقف عن طلاء أظافره ويسلط عليه نظرة ثاقبة)

لاأريد إلا القمر ، ياهيليكون . أنا أعلم مسبقاً ، من أين سيأتي الموت . لكنني إلى الآن لم أفقد ذلك الشيء الذي يجعلني أحيا . لذا أريد القمر . لاتأتي إلى هنا قبل أن تحضره لي .

هيليكون : مهما يكن . فإنني سأقوم بتنفيذ واجبي وأقول مايتوجب عليّ قوله . هناك مؤامرة تحاك ضدك يتزعمها شيريا . وتسنى لي الحصول على هذه اللائحة التي من خلالها تستطيع معرفة الشيء المهم . وها أنذا أضعها بين يديك .

(يضع هيليكون لائحة على أحد الأرائك ويتوجه إلى الخارج)

كاليجولا : إلى أين أنت ذاهب ياهيليكون ؟

هيليكون : (من العتبة) . في سبيلي لأُحضر لك القمر !

المشهد الرابع

(حركة من جهة الباب الآخر . يستدير فجأة ، فيرى النبيل المسن) .

النبيل المسن : (بتلكئ) . أيمكنني الدخول ياكايوس ؟

كاليجولا : (بنفاذ صبر) . ادخل . **(متمعناً إياه)** . يعني هذا ، أننا وصلنا مرة أخرى لمشاهدة فينوس ، ياعزيزتي ! .

النبيل المسن : كلا ، الأمر ليس كذلك . ت . س . س ! اعذرني ياكايوس . . . أريد أن أقول . . . أنت تعلم مقدار محبتي لك . . . الشيء الوحيد الذي أطلبه ، هو أن أعيش بقية حياتي بهدوء . . .

كاليجولا : باختصار ! باختصار !

النبيل المسن : أجل ، حسن . **(يتكلم بسرعة)**، إنه أمر جدي جداً ، وهو كل شيء .

كاليجولا : كلا . هذا ليس بالأمر الجاد .

النبيل المسن : ماهو ، غير الجاد ، ياكايوس ؟

كاليجولا : أجل ، عن ماذا كنا نتحدث ، يافرحتي ؟

النبيل المسن : (يتلفت فجأة) . هناك مؤامرة تحاك ضدك . . .

كاليجولا : أترى . كنت قد قلت ، أن هذا ليس بالأمر الجاد .

النبيل المسن : ياكايوس ! يريدون قتلك .

كاليجولا : (يدنو منه ويمسكه من تلابيبه) . أتدري لماذا لاأريد تصديقك ؟

النبيل المسن : (إيماءة من يريد حلف اليمين) . استنجد بجميع الآلهة ، ياكايوس .

كاليجولا : (يدفعه إلى الخارج بلطف وهدوء) . لاتنحني ، الأهم أن

لاتنحني . الأفضل أن تصغي إليَّ : إذا كان ماقلته صحيحاً ، عندها تكون قد خنت أصدقاءَك ، أليس كذلك ؟

النبيل المسن : **(في اضطراب)** . لكن ، حبي لك ، ياكايوس .

كاليجولا : **(بذات اللهجة)** . وأنا لاأستطيع افتراض ذلك . إنني أمقت كل خيانة . والخائن لاأطيق تحمله . سأسوقه إلى الاعدام . وأنا أعلم جيداً كهنوت انسانيتك . فأنت طبعاً لاتقصد الغدر ولاالموت .

النبيل المسن : طبعاً ، طبعاً ، ياكايوس !

كاليجولا : أترى ، كنت محقاً ، حينما لم أصدقك . إنك لست بسافلٍ . أليس كذلك ؟

النبيل المسن : أوه ، كلا . . .

كاليجولا : ولست خائناً ؟

النبيل المسن : هذا مفهوم جداً ، ياكايوس !

كاليجولا : إذن ، هذا يعني أنه لاتوجد هنالك أية مؤامرة . أكان قولك مجرد دعابة ؟ قل .

النبيل المسن : **(في حيرة من أمره)** . دعابة ، دعابة بيضاء .

كاليجولا : ومن الجلي ، أن لاأحد يقصد قتلي .

النبيل المسن : لاأحد ، طبعاً ، لاأحد .

كاليجولا : **(يتنفس الصعداء ويتابع حديثه ببطء)** . إذن اغربي عني يارائعتي . الانسان شرف ـ إنه من المخلوقات النادرة والفريدة في هذا العالم ، وليس بمقدوري أن أمقته على الدوام . أريد أن أبقى وحيداً ، كي أعيش هذه اللحظات الرائعة .

المشهد الخامس

(يبقى كاليجولا مدة من الزمن دون حركة متمعناً اللائحة . بعد

ذلك ، يباشر قراءتها ومن ثم يتنفس الصعداء ويستدعي الخفير) .

كاليجولا : أحضر شيريا إلى هنا ، فوراً .

(يتوجه الخفير إلى الخارج) .

(يخرج الخفير) . (يبدأ كاليجولا بقياس القاعة بخطواته . بعدها يتوجه إلى المرآة) . أخيراً ، أصبحت منطقياً ، أيها الأبله ! بقي عليك أن تعرف الطريق الذي سيقودك إليه هذا المنطق . **(بسخرية)** . لو أنهم جلبوا لك القمر ، لتبدلت الأمور ، أليس كذلك ؟ ولأصبح المستحيل ممكناً ولتكثف الزمن في لحظة واحدة . مرة وإلى الأبد . لماذا لايكون الأمر كذلك ، ياكاليجولا ؟ كيف أستطيع أن أعرف ؟ **(يتلفت حول نفسه)** . الناس من حولي يتناقصون مع مرور الأيام . هذا غريب . **(ناظراً إلى المرآة ، وبصوت مبحوح)** . إن عدد الأموات كبير ، كبير جداً . ماهذا الخواء ؟ حتى لو امتلكت القمر ، فلن أستطيع أن أتراجع . حتى ولو أخذ الأموات يتململون تحت أشعة الشمس ، فإن القتلة لن يطمروا تحت التراب من جراء ذلك .**(في غيظ)** . المنطق ، ياكاليجولا . يجب التمسك بالمنطق وبحزم . السلطة المطلقة ، الثقة المطلقة بجبروتك . كلا ، لن أتراجع ، يجب الاستمرار حتى النهاية .

(يدخل شيريا)

المشهد السادس

(يحزم كاليجولا نفسه بالمعطف جيداً ويسند ظهره على الأريكة

وتبدو عليه معالم التعب) .

شيريا : هل استدعيتني ، ياكايوس ؟

كاليجولا : **(بصوت خائر)** . أجل ، ياشيريا . الحراسة ! المشاعل !

(برهة صمت)

شيريا : هل رغبت بأن تحدثني عن أمر ما ؟

كاليجولا : لا ، ياشيريا . **(برهة صمت)** .

شيريا : **(مضطرب قليلاً)** . هل أنت على قناعة بأن حضوري ضروري ؟

كاليجولا : غاية الثقة ، ياشيريا . **(يخيم الصمت من جديد ، بعدها يتحدث بأناة)** . اعذرني ياشيريا لأنني مشتت ولم أحسن استقبالك . اجلس هنا ، على هذه الأريكة كي نتحدث حديث الأصدقاء . عندي رغبة عارمة لمحادثة انسان ذكي .

(يجلس شيريا . ولأول مرة منذ بداية المسرحية يتماسك غير مكره) .

ماذا تقول ياشيريا . أبمقدور انسانين متساويي العزة والكبرياء أن يتحدثا بقلبين منفتحين ويتكاشفا إلى حد العري ويتجردا من كل وهم ورياء ويبوحا بكل الأسرار والنوايا والحسابات ، التي يعيشان تحت كابوسها ولو لمرة واحدة في الحياة .

شيريا : أظن أن هذا ممكن ياكايوس . لكن لاأظنك قادراً على ذلك .

كاليجولا : أنت على حق . أردت أن أعرف مدى اتفاقك معي حول هذا الرأي . دعنا نرتدي الأقنعة ولنتسلح كلٌ بوهمه . ولنموه أنفسنا في هذا اللقاء ، كما في المعركة ، بالحواجز والمكامن . والآن . لماذا لاتحبني ، ياشيريا ؟

شيريا : لأنه لايوجد فيك شيء أهلاً للحب ، يا كايوس . في الحب ، لاتجدي الأوامر . بالاضافة إلى معرفتي الجيدة بك . إذ لايجوز أن

نحب في الآخرين مانحاول ستره عن أنفسنا .

كاليجولا : لماذا تكرهني ؟

شيريا : في هذا ، أنت على خطأ ياكايوس . أنا لاأكن أية كراهية لك . بل اعتبرك خطراً وقاسياً وأنانياً ومغروراً . غير أني لاأكرهك ، لأنك لاتتراءى لي سعيداً . ولا أستطيع أن أحسدك ، لأنك جبان .

كاليجولا : إذن ، لماذا تريد قتلي ؟

شيريا : كنت قد قلت : أعتبرك خطراً . إنني أثمن الخير الآمن واعتبره ضرورياً لي . والناس عامة كذلك أيضاً . فهم لايستطيعون العيش في ذلك العالم ، الذي تصبح فيه أية أفكار هذيانية واقعاً وحقيقة وتدخل حياتهم في أية لحظة ـ وغالباً ماتدخل كخنجر في القلب . وأنا لاأرغب الحياة في عالم كهذا . وأفضل أن أدوس دائماً على تربة صلدة .

كاليجولا : لاخير ، في مخالفة المنطق .

هذا حق ، وتلك الرؤية ليست منطقية ، إلا أنها سليمة .

كاليجولا : وبعد ؟

شيريا : لم يبق لدي ماأقوله . لاأريد أن أشاركك في منطقك . فعندي مفاهيم أخرى عن الخير الانساني . وأعلم أن العديد من أتباعك المخلصين يفكرون كما أفكر . أنت تعيق الجميع . لهذا يجب أن تزول .

كاليجولا : كل هذا ، واضح وعادل ، عادل جداً . وقد يكون بديهياً لعامة الناس ، لكن لاينبغي أن يكون كذلك بالنسبة لك . أنت ذكي جداً ، وهذا الذكاء سيكلفك غالياً ، إذا لم ترتد عنه . أنا أدفع الثمن . فلماذا ؟ لاأنت تريد أن ترتد ولا أن تدفع الثمن ؟

شيريا : لأنني أحب الحياة ، وأحب أن أكون سعيداً فيها . ولايمكنني أن أحصل على هذا أو ذاك ، إن تركت هذا المنطق يصل إلى نهايته

بما يجر خلفه من عواقب . ماأنا إلا إنسان عادي . . . يثقلني هذا أحياناً ، وعندها أتمنى الموت للذين أحبهم وأحياناً أخرى أحلم بهاتيك النسوة ، اللائي تحرمها علينا قوانين الأسرة أو واجبات الصداقة . فلو كنت منطقياً ، لتوجب عليَّ ، في مثل هذه الحالات ، أن أقتل وأخطف النساء . لكنني أعتبر أن هذه التصرفات شيئٌ من الفتنة والنزوات ، لاوزن لها . وإذا اعتبرنا أن كل شيء مباح ، لما استطعنا أن نحيا ، سعداء . وأنا أعتبر أن هذا الأمر يحتل عندي أهمية كبرى .

كاليجولا : إذن ، أنت تؤمن بالمثل السامية .

شيريا : أؤمن بأن بعض الأفعال أسمى من غيرها .

كاليجولا : أما أنا فأؤمن بأنها جميعاً تحتل ذات المنزلة .

شيريا : أعلم هذا أيضاً . لهذا لاأستطيع أن أنقم عليك . إلا أنك تشكل عائقاً ويجب أن تختفي .

كاليجولا : هذا عدل ، لكن لمَ تصرّح لي بذلك وتخاطر بحياتك ؟

شيريا : لأني أريد أن يقف الآخرون موقفي ولأني ، أيضاً لاأحب الافك . (**برهة صمت**) .

كاليجولا : ياشيريا !

شيريا : نعم ، ياكايوس ! . .

كاليجولا : ماذا تقول . أبمقدور انسانين متساويي العزة والكبرياء ، أن يتحدثا . . . بقلبين منفتحين ولو لمرة واحة في الحياة ؟

شيريا : أظن ذلك ، وهذا ماقمنا به سوية .

كاليجولا : أجل ، ياشيريا ! إلا أنك لم تعتبر نفسك قادراً على ذلك .

شيريا : كنت مخطئاً ، ياكايوس . اعترف بذلك وأشكرك . والآن أنا

بانتظار حكمك .

كاليجولا : **(شارد الذهن)** حكمي ؟ أجل ! أتعني . . . **(يخرج اللائحة من تحت معطفه)** . أتعلم ماهذا ياشيريا ؟

شيريا : علمت ، أنها وصلت إليك .

كاليجولا : **(بحماسة)** . لهذا ياشيريا ، كانت حماستك وصراحتك متصنعة . وحصل أن الرجلان لم يتناجا بقلوب مفتوحة . لكن دعك من هذا ، فلا أهمية له . والآن لنطلق لعبة الصراحة هذه ، ولنعد إلى سابق عهدنا . يتوجب عليك من جديد أن تحاول جاداً استيعاب ماسأقوله وأن تصبر على إهاناتي وأهوائي . تأمل ياشيريا هذه اللائحة ـ إنها البرهان الوحيد .

شيريا : دعني أنصرف ، ياكايوس . فقد مللت من كل هذه التلميحات والتهديدات الحاقدة . أعرفها جيداً ولاأريد الاستماع إليها قط .

كاليجولا : **(بنفس درجة التوقد والحسم)** . انتظر . هذا هو المستمسك الوحيد ، أليس كذلك ؟

شيريا : لاأظن أنك بحاجة إلى مستمسك ، لترسل أحدهم إلى الاعدام .

كاليجولا : هذا صحيح . لكنني أريد أن أناقض نفسي في هذه المرة . ومافي ذلك حرج . أن تبدل ما في نفسك من حين إلى آخر ، أمر ممتع ومريح للأعصاب . أحتاج إلى الراحة ، ياشيريا .

شيريا : لا أفهم ما تريد . وبشكل عام ، أنا لست من أولئك الذي يستصيغون مثل هذه التقلبات .

كاليجولا : هذا واضح ياشيريا . فأنت رجل سليم الذهن ، لاتطمح إلى العجيب الشاذ من الأمور . **(ينفجر ضاحكاً)** . لاتطمح إلا بحياة سعيدة . وهذا كل مافي الأمر .

شيريا : أعتقد ، أنه يجب أن نقف عند هذا الحد !

كاليجولا : ليس بعد . إن بعض الصبر جميل . انظر إلى هذا المستمسك ، الذي بدونه لاأستطيع اعدامك . وفي هذا تنحصر راحتي ونزواتي . والآن تمعن إلى ماذا سيتحول هذا المستمسك بين يدي الامبراطور .

(يحمل اللائحة ويجعلها تلامس المشعل . يدنو شيريا ليصبح على مقربة منه وبينهما المشعل . واللائحة تذوي احتراقاً) . أرأيت أيها المتآمر ! إنها تذوي ، فبقدر مايؤول هذا المستمسك إلى الذوبان ، بذلك القدر يحتل شروق البراءة على وجهك . إنك ياشيريا تمتلك خصالاً رائعة وشريفة . كم هو رائع ، ذلك الانسان البريء ، كم هو رائع ؟ فهل تقدر عظمتي . حتى الآلهة ، غير قادرة على أن تعيد البراءة ولأن تبعث القصاص من جديد . وامبراطورك لم يحتاج إلا للسان القبيلة ليجعلك من جديد ، دون ذنوب ومتخلصاً من جزءٍ سيطر عليك ، تابع ، ياشيريا . أوصل هذه المحاكمات العظيمةَ إلى نهايتها ، تلك التي سمعتها للتو منك . فامبراطورك يترقب ساعة الخلاص وهذه هي الوسيلة الوحيدة ، التي تجعله يحيا سعيداً .

(ينظر شيريا إلى كاليجولا وتبدو على وجهه امارات الانفراج . يسير بخطوات رزينة ، يفتح فاه كأنه يريد الكلام ، لكنه يخرج فجأة . وكاليجولا لايزال ممسكاً باللائحة فوق النار ويودع شيريا بنظرة جانبية وهو يبتسم) .

تسدل الستارة

الفصل الرابع

المشهد الأول

(ترفع الستارة . يخيم الظلام على خشبة المسرح . يدخل كل من شيريا وسيبيون . يتوجه شيريا إلى اليمين أولاً وبعدها ينحرف إلى اليسار عائداً إلى حيث يقف سيبيون) .

سيبيون : **(بتعبير مبهم)** . ماذا تريد مني ؟

شيريا : الزمن يستعجلنا . يجب علينا أن نصمد على ماقررناه .

سيبيون : من قال لك ، أني غيرت موقفي ؟

شيريا : لم تحضر لقاءنا البارحة .

سيبيون : **(أشاح وجهه)** . هذه هي الحقيقة ياشيريا .

شيريا : ياسيبيون ! أنا أكبر منك سناً ولم أعتد على طلب المساعدة . لكنني أحتاج إليك فعلاً . والمسؤولية عن مثل هكذا جريمة قتل ، يجب أن يتحملها رجال جديرون بالإحترام . ففي هذه اللعبة ، المشبعة بالنرجسية والمخاوف الصغيرة ، لايوجد عند أحد قناعات شريفة إلا عندي وعندك . فإذا أقدمت على تركنا ، أعتقد أن كل شيء سيضيع عندها . والأمر لاينحصر في ذلك فقط ، فأنا أريد أن تبقى معنا .

سيبيون : إني أدرك ذلك . لكنني ، أقسم لك ، أنني لاأستطيع .
شيريا : إذن . أنت في صفه .
سيبيون : كلا ، إلا أنني لاأستطيع الوقوف ضده . (**يصمت قليلاً ، بعدها يتابع بصوت خافت**) . حتى لو قتلته ، سيبقى قلبي معه .
شيريا : لكنه قتل أبيك !
سيبيون : أجل ، ومن هنا يبدأ كل شيء وبه ينتهي كل شيء أيضاً .
شيريا : إنه يرفض اعترافك وهو يزدري ، الذي أقسمت به .
سيبيون : هذه هي الحقيقة ياشيريا . لكن هنالك مايجمعني معه . إن روحينا تشتعلان بذات الجمار .
شيريا : تمر لحظات ، نصبح فيها مجبرين على الاختيار . ويجب أن يجبر مايشابهه فيك على الصمت .
سيبيون : لاأستطيع الاختيار . لأنني أشعر بألمه كشعوري بألمي . وتنحصر تعاستي في أنني أدرك كل شيء .
شيريا : إذن . فخيارك الإعتراف بأنه على حق .
سيبيون : (**بصرخة استغاثة**) . صدقني ياشيريا ، إنني منذ اليوم فصاعداً لايمكن أن أعترف بأحقية أي كان قط .

(**برهة من الصمت ، يتمعن خلالها أحدهما الآخر**) .

شيريا : (**يدنو من سيبيون وهو بحالة اضطراب**) . إني أمقته مقتاً تزايدت قوته ، بعد الذي فعله معك .
سيبيون : علمني وجوب الالتماس دون نهاية .
شيريا : لا ، سيبيون . انتزع منك الأمل . وانتزاع الأمل من روح فتية ـ أرهب من كل الجرائم التي اقترفها . وأقسم لك أن هذا يكفي لاطلاق عنان الحقد عليه وقتله .

(**يستدير خارجاً**) . (**يدخل هيليكون**) .

المشهد الثاني

هيليكون : ابحث عنك ياشيريا . سيقيم كاليجولا هنا أمسية للأصدقاء . يجب أن تحضرها . **(يستدير إلى سيبيون)** . أما أنت ياعزيزي ، فلسنا بحاجة إليك وتستطيع الانصراف .

سيبيون : **(أثناء خروجه يستدير ناظراً إلى شيريا)** . ياشيريا .

شيريا : **(بلطف)** . نعم ، ياسيبيون .

سيبيون : حاول أن تستوعب .

شيريا : **(بلطف شديد)** . كلا ، ياسيبيون .

(يغادر كلاً من هيليكون وسيبيون) .

المشهد الثالث

(صرير أسلحة من خلف كواليس المسرح . من اليمين يظهر خفيران يقودان النبيل المسن والنبيل الأول ، ويبدو على الأخيرين إمارات الخوف) .

النبيل الأول : **(يوجه حديثه إلى الخفير محاولاً أن يعطي لصوته نبرة الواثق)** . ماذا يريدون منا ، في نهاية المطاف ، في مثل هذه الساعة المتأخرة ؟

الخفير : **(مشيراً إلى الأريكة الموجودة إلى اليمين)** . اجلس هنا .

النبيل الأول : إذا كانوا يريدون اعدامنا كغيرنا ، فلا حاجة إذاً لمثل هذه الاستعدادات المعقدة .

الخفير : اجلس هنا ، أيها الحمار الطاعن في السن .

النبيل المسن : سنجلس . من الواضح أن هذا الرجل لايعرف شيئاً .

الخفير : أجل ، ياعزيزي ، هذا واضح . **(يخرج)** .

النبيل الأول : كنت أدرك أنه كان يجب علينا الاسراع . أما الآن فينتظرنا العذاب .

المشهد الرابع

شيريا : **(يتمجلس على الأريكة بهدوء)** . ماالخبر ؟

النبيل الأول والنبيل المسن : **(في صوت غنائي واحد)** . لقد فُضحت المؤامرة .

شيريا : وماذا بعد ؟

النبيل المسن : **(مرتجفاً)** . هذا يعني ـ أن التعذيب ينتظرنا . . . .

شيريا : **(برباطة جأش)** . أُذكرك بما أقدم عليه كاليجولا ، حينما منح أحد العبيد اللصوص إحدى وثمانين ألف دينار مكافأةً له لأنه لم يعترف تحت وابل التعذيب .

النبيل الأول : إلى أية حالة وصلنا ؟ ياله من عزاء لنا ؟

شيريا : كلا ، فذلك يدل على اعجابه بالشجاعة والرجولة . يجب أن تأخذوا هذا بنظر الاعتبار . **(يوجه حديثه إلى النبيل المسن)** . ألديك مانع بتوقيف أسنانك عن الاصطكاك . لأطيق تحمل هذا الصوت .

النبيل المسن : ماذا ؟ أنا . . .

النبيل الأول : كفى . نحن نخاطر بحيواتنا .

شيريا : **(برباطة جأش)** . أتعرفون عبارة كاليجولا المحببة ؟

النبيل المسن : **(بحالة قريبة من الاجهاش بالبكاء)** . أجل . حينما يخاطب السياف قائلاً : **(اقتل بتروي ، دعه يتذوق طعم الموت جيداً)** .

شيريا : كلا ، بل هي غير ذلك ، لكنها أكثر فظاعة . حيث ينظر إلى من سينفذ به الاعدام متثائباً وعلى الأثر يقول بجدية منقطعة النظير:

(إن أكثر مايثير اعجابي ــ هو اللامبالاة) .

النبيل الأول : أتسمعون ؟

(تسمع أصوات صرير أسلحة) .

شيريا : إنها عبارة ، تكشف عن ضعفه .

النبيل المسن : ألديك مانع في أن تتفضل وتتوقف عن التفلسف . فأنا لاأحتمل ذلك .

(يظهر عبد من عمق خشبة المسرح حاملاً سيوفاً ، يتقدم ويضعها على أحد المقاعد) .

شيريا : **(لم ير العبد)** . على أية حال . يجب الاعتراف أن لهذا الرجل تأثير كبير على الآخرين بحيث يرغمهم على إجالة الفكر طويلاً ، والقلق ـ هو الذي يجبرنا على إجالة الفكر . لهذا السبب اكتسب كراهية غالبية الناس .

النبيل الأول : **(مرتجفاً) . انظر !**

شيريا : **(تتغير نبرة صوته بعد أن يرى السيوف)** . لعلك كنت على صواب .

النبيل الأول : كان يجب الاسراع . تباطأنا أكثر من اللازم .

شيريا : نعم ، هذا درس نتأخر دائماً باستيعابه وأتى بعد فوات الأوان .

النبيل المسن : لكن ، هذا سخف ، فأنا لاأريد أن أموت .

(يقف محاولاً الفرار . في الحال يظهر خفيران . يمسكانه ويهزانه هزاً عنيفاً ويعيدانه إلى مكانه ، يتجمد النبيل الأول في أريكته . يتفوه شيريا ببعض كلمات غير مسموعة . وفجأة يسمع من عمق المسرح أصوات حادة متقطعة لموسيقى غريبة وأصوات موسيقى الصنوج . يصمت النبلاء وهم ينظرون إلى عمق المسرح . ويظهر على الشاشة هناك ، كما في مسرح

الأشباح ، شبح كاليجولا مرتدياً ثياباً قصيرة لراقصة وعلى رأسه اكليل . يقوم ببعض حركات باليه ويختفي . وأثر ذلك يتقدم أحد الخفراء ويعلن قائلاً : «انتهى العرض» . وخلال هذا الوقت تدخل سيزونيا دون أن تثير ضجة وتسير إلى خلف النبلاء . تتحدث بصوت هادئ رزين لكنه يثير فزع الجميع) .

المشهد الخامس

سيزونيا : كلفني كاليجولا بأن أخبركم ، بأن العادة جرت على استدعائكم سابقاً لبحث قضايا الدولة ، إلا أنه يستدعيكم اليوم ليتقاسم معكم المتع الجمالية **(تصمت قليلاً وتتابع بعد برهة بذات اللهجة)** . ويريد أن ينبؤكم أنه سيحصد رأس كل من يرفض تذوق هذه المتع . وارجو أن تعذروني على إلحاحي . إلا أنني مضطرة لأسألكم إن كانت هذه الرقصة جميلة فعلاً .

النبيل الأول : **(بتردد)** . كانت رقصة رائعة ، ياسيزونيا .

النبيل المسن : **(بهيئة الممتن)** . أجل ، ياسيزونيا .

سيزونيا : وماذا عنك ، ياشيريا ؟

شيريا : **(ببرودة)** . كانت فناً صافياً .

سيزونيا : حسن ! سأذهب إلى كاليجولا لأخبره بذلك .

(تخرج سيزونيا)

المشهد السادس

(يدخل هيليكون)

هيليكون : قل لي ، ياشيريا ، أحقاً كان فناً صافياً .

شيريا : إلى حد ما . نعم .

هيليكون : أنا أدرك ، أنك قوي جداً ياشيريا . مزور كأي رجل مخلص . لكنك تبقى قوياً ، بما فيه الكفاية ، وهذا مالانستطيع أن لانقر به . وأنا لست بقوتك ، لكنني مع ذلك لن أمكنكم من مس كاليجولا ، حتى لو أراد هو ذلك .

شيريا : لم أستوعب شيئاً من هذا المونولوج . لكن واجبي يحدوني إلى امتداحك على هذا الاخلاص . فأنا أحب الاخلاص .

هيليكون : وأنت أي متكبر تصنع ؟ أجل ، أنا أخدم مجنوناً . لكن من تخدم أنت ؟ هل الفضيلة ؟ والآن أصرح لك برأيي بهذا الخصوص. ولدت عبداً أي كنت انساناً سوياً . وحين أصبحت يافعاً ، وانطلاقاً من دوافع الفضيلة ، أجبروني على جلد الناس بالسياط . ولم يكن كايوس يتحدث معي بشكل جميل ، إلا أنه حررني وأخذني إلى قصره . وهناك تسنى لي التبصر بأخيكم ، أيها الفضلاء . وأثناء ذلك رأيت أنكم تحوزون على وجوه قذرة ورائحة رديئة ، رائحة الناس ، الذين لايعرفون لاالمعاناة ولاالمخاطرة . شاهدت ملابساً جميلة باهية ، أما القلوب فكانت نائمة والوجوه جشعة والأيادي مرتجفة . وهؤلاء هم أنتم ـ أيها القضاة ؟ أنتم ، يامن تاجرتم بالفضيلة بالمفرق والآن تحلمون بحياة رغيدة ، كما تحلم الصبايا بالحب ، لكنكم ستموتون جزعاً ، قبل أن تدركوا افككم في هذه الحياة . وأنتم الآن تريدون أن تحاكموا من عانى باستمرار والذي ماانقطع نزفه للدماء ، من آلاف جروح جديدة ؟ وهذا العبد ، الذي تكرهونه هو أرفع مقاماً من فضيلتكم ، لأنه لايزال يكن حباً لصاحبكم التعس وسوف يحميه من أكاذيبكم الباطلة ومن اتهاماتكم الغادرة . . .

شيريا : ياعزيزي هيليكون . . لقد تصادمت مع علم البلاغة . وأقسم

بشرفي أن ذوقك سابقاً كان أفضل مما هو عليه اليوم .

هيليكون : اتقصد ترددي . هذا ماتعنيه معاشرتكم الدائمة . حيث تصبح شعيرات آذان الأصحاب القدامى متساوية ، وفي نهاية المطاف يصبحون الخالق الناطق . لكنني سأقوم بتقويم ذاتي ، فلا تقلق ، لكن . . .انظر هنا ، هل ترى هذا الوجه ؟ إذن ، تمعن جيداً ، أجل ، رائع ، كنت قد شاهدت عدوك . **(يخرج)** .

المشهد السابع

شيريا : والآن ، يجب أن نسرع في تنفيذ مانبتغي . أمكثا هنا حتى المساء ، حيث سيصل عددنا إلى المئة . **(يتوجه خارجاً)** .

النبيل المسن : بل امكثا أنتما ! فأنا أفضل الذهاب . **(يسحب الهواء عن طريق الأنف)** . أشم رائحة الموت من حولي .

النبيل الأول : أو رائحة مستنقع نتن . **(في حزن)** . قلت أن تلك الرقصة ، كانت رائعة .

النبيل المسن : **(لابأس)** . بمعنى ما ، الأمر هكذا ، الأمر هكذا . **(يدخل عدد كبير من النبلاء والفرسان باندفاع)** .

المشهد الثامن

النبيل الثاني : ماالذي يجري هنا ؟ أتعلمون أن القيصر يستدعينا ؟

النبيل المسن : **(شارد البال)** . لعله من أجل الرقص .

النبيل الثاني : أي رقص ؟

النبيل المسن : نعم ، إلى المتع الجمالية .

النبيل الثالث : أظن أن كاليجولا عليلٌ جداً .

النبيل الأول : أحقاً ، هكذا الأمر .

النبيل الثالث : ماذا ألم به (**باستبشار**) . ياآلهتي ، أهو مشرف على الموت ؟
النبيل الأول : لا ، توديك أفكارك إلى البعيد . فمرضه لايميت سوى الآخرين .
النبيل المسن : إذا جاز التعبير كذلك .
النبيل الثاني : افهم ماتعنيه ، أليس به مرض أقل جدية وأكثر خيراً لنا ؟
النبيل الأول : كلا . فمرضه هذا لايحتمل المزاح . وأنا أستميحكم عذراً لأنني ذاهب للقاء شيريا . (**يخرج**) .
(تدخل سيزونيا ، تمر برهة صمت قصيرة)

المشهد التاسع

سيزونيا : (**بلامبالاة**) . يعاني كاليجولا من ألم في معدته . وقد تقيأ دماً . (**يتجمهر النبلاء حولها**) .
النبيل الثاني : يا آلهتي العظيمة ، القادرة على كل شيء ، أعطيك عهداً بأنني سأتبرع بمئتي ألف دينار للخزينة ، إذا تماثل للشفاء .
النبيل الثالث : (**بحمية عالية**) . ياإلهي جوبيتر ! أفديه بحياتي . (**كان قد مضى على دخول كاليجولا برهة من الوقت وهو صاغي لما يقال**) .
كاليجولا : (**يدنو من النبيل الثاني**) . قبلت هديتك يالوسيوس وأشكرك على ذلك . سيصل وكيل الخزينة إلى طرفك غداً . (**يدنو من النبيل الثالث ويعانقه**) . لاأستطيع أن أصف لك مدى تأثري بذلك . (**يصمت فجأة**) . أتحبني إلى هذا الحد ؟
النبيل الثالث : (**بعواطف جياشة**) . أجل أيها القيصر . فمهما قدمت في سبيلك ، يبقى قليلاً .
كاليجولا : (**يعانقه ثانية**) . آخ ، هذا كثير جداً ياليبيدوس . فأنا لست أهلاً

لمثل هذا القدر من الحب . **(يومئ ليبيدوس إيماءة احتجاج)** . كلا ، كلا . أقول لك ، بأني لست أهلاً لذلك . **(يستدعي خفيرين)** . اخرجوه . **(الطفوا به)** . اذهب ياصديقي وتذكر أن قلب كاليجولا معك .

النبيل الثالث : **(باضطراب قليل)** . لكن ، إلى أين هم ذاهبون بي .

كاليجولا : كيف إلى أين ؟ إلى الموت . ألم تهبني حياتك فداءً وأنا الآن أشعر بالانتعاش من جديد . لدرجة أن مذاق الدم الكريه غاب عن حلقي . شفيتني تماماً ياليبيدوس . وأنت سعيد ، لأنك استطعت تقديم حياتك فداءاً لحياة أخرى ، وصاحب هذه الحياة ، يدعى كاليجولا . أما أنا فقد استعدت عافيتي وأستطيع الآن الاستمتاع بمباهج الحياة .

(يسحب الخفيران النبيل الثالث وهو يقاوم ويصرخ ويولول) .

النبيل الثالث : لكنني لاأريد . إنها مهزلة !

كاليجولا : **(حالماً بين الولولات)** . قريباً سوف نفرش الطريق الذي يمر فوق البحر بنباتات الست المستحية . وسترتدي النساء ملابس شفافة هفهافة من الحرير الناعم . أما السماء العالية فستكون نقية وصافية ياليبيدوس ! والحياة ستبتسم ابتسامات لاأجمل . .

(وصل ليبيدوس باب الخروج . تدفعه سيزونيا برفق) .

كاليجولا : **(يتلفت فجأة باتجاه ليبيدوس)** . الحياة صديقتي . لو أحببتها كما يجب ، لما كنت تلعب بها باستخفاف . **(يشحب ليبيدوس ويختفي أخيراً)**

كاليجولا : **(يعود إلى المنضدة)** . عندما تخسر ، يجب أن تدفع . **(برهة صمت)** . اقتربي إلى هنا ياسيزونيا . **(يتحول إلى الآخرين)** . والآن خطرت على ذهني فكرة رائعة ، وأنا أريد أن أتقاسمها

معكم . حتى يومنا هذا ، عاشت امبراطورية بيمن ويسر وسعادة . لاوباء طاعون ولا مناسك دينية قاسية ، حتى بدون انقلاب حكومي . أعني أن لاشيء هناك ، نستطيع ابقاءه في ذاكرة عقبانا . لذا رأيت من واجبي استبدال هذا القدر الراكد . ولست أدري ، هل أدركتم ماأريد . **(يضحك ضحكة صغيرة)** . بكلمة أخرى . أريد أن أتبادل الدور مع وباء الطاعون . **(بلهجة أخرى)** . والآن اخرسوا . هاهو شيريا قادم . انشغلي بهم ياسيزونيا . **(يخرج)** .

(يدخل شيريا والنبيل الأول) .

المشهد العاشر

(تهرع سيزونيا بأناة إلى شيريا)

سيزونيا : لقد مات كاليجولا .

(تواري وجهها وتمثل البكاء . بعدها تأخذ بتمعن الجميع . الآخرون صامتون . وهم بحالة انقباض ، لكن لسبب آخر) .

النبيل الأول : أواه . . . هل أنتِ متأكدة من وقوع الكارثة ؟ هذا مستحيل . منذ هنيهة كان يرقص .

سيزونيا : هكذا . فقد أودى الاجهاد المفرط بحياته .

(يحوم شيريا حول الحاضرين بخطوات سريعة ، يتنقل من واحد إلا آخر ويعود إلى سيزونيا . يحافظ الجميع على صمتهم) .

سيزونيا : **(بتؤدة)** . أنت لم تقل شيئاً ، ياشيريا .

شيريا : **(بتؤدة أيضاً)** . إنه مصاب جلل ، ياسيزونيا .

(يدخل كاليجولا ويتوجه إلى شيريا وإمارات الغضب بادية على محياه)

كاليجولا : أجدت التمثيل ، ياشيريا . **(يدور إلى الوراء وينظر إلى الآخرين مرحاً)** . ماذا ! ياسيزونيا . لاتنسي ماقلته لك . **(يخرج)** .

المشهد الحادي عشر

(تراقبه سيزونيا وهو منصرف والصمت مخيم على الجميع)

النبيل المسن : **(كمن لايزال يأمل مخرجاً ما)** . هل هو مريض فعلاً ياسيزونيا ؟

سيزونيا : **(تحدق فيه بكراهية)** . لاياعزيزتي الجميلة . فالأمر الذي تجهلينه عن هذا الرجل ـ هو أنه لاينام إلا ساعتين ليلاً . وماتبقى من الوقت يقضيه حائماً في أروقة القيصر ، فالنعاس لايأتيه . أنت لاتعلم ذلك ، بل حتى أنك لاتستطيع تخمين الأفكار التي تراود ذهنه في مثل هذه الساعات المظلمة ، الواقعة بين منتصف الليل ومطلع الفجر . مريض ؟ لا ، إنه ليس بمريض ، هل تستطيع اختراع دواء يعالج قروحه الدامية والتي تملأ روحه .

شيريا : **(متأثراً بقولها)** . أنتِ على حق ، ياسيزونيا . نحن لانعلم أن كايوس . . . .

سيزونيا : **(تقاطعه وتقول بحيوية أكثر)** . أجل ، أنتم لاتعرفون لكنكم ككل الذين لايملكون روحاً ، لن تستطيعوا تحمل أصحاب القلوب الخفاقة . وأنتم أيها السعداء تنفرون من رؤية التعساء . . . ومن يملك قلباً نابضاً يعكر صفوكم ، تسمونه مريضاً . أما البلداء ذوي الشفاه السميكة فينامون قريري العين مرتاحي الضمير .

(بلهجة أخرى) . هل حاولت أن تعشق في يوم من الأيام ياشيريا ؟

شيريا : **(يقف وحيداً من جديد)** : بلغنا عتياً من العمر . وهذا عمر

لايصلح لتعلم مثل هذه الأمور ، ياسيزونيا . كما أن كاليجولا ذاته ، لايعطينا الوقت اللازم لذلك .

سيزونيا : **(متماسكة)** . هذه هي الحقيقة . **(تجلس)** . كدت أنسى المهمة ، التي كلفني بها كاليجولا . أتعلمون أن يومنا هذا مخصص للفن .

النبيل المسن : حسب التقويم ؟

سيزونيا : كلا ، بل حسب ارادة كاليجولا . فهو كان قد دعا عدداً من الشعراء ، سيقترح عليهم أن يتباروا شعراً حول موضوع معين . وبيننا يوجد شعراء أيضاً . ويود كاليجولا أن يشاركوا في هذه المباراة بشكل فعال . وخص بالذكر الفتى سيبيون وميثيليوس .

ميثيليوس : لكننا لم نستعد لذلك .

سيزونيا : **(تابعت بذات اللهجة وكأنها لم تستمع لما قاله)** .
طبعاً ، سيكون هنالك جوائز وعقوبات أيضاً .
(الجميع ينكصون) .
وسأبوح لكم بسر شريطة أن يبقى بيننا . إن العقوبات لن تكون قاسية جداً .
(يدخل كاليجولا مكفهراً ، أكثر من أي قت مضى) .

المشهد الثاني عشر

كاليجولا : أكل شيء جاهز ؟

سيزونيا : أجل ، كل شيء **(توجه حديثها إلى الخفير)** . استقدم الشعراء .
(يدخل اثنا عشر شاعراً على شكل رتل ثنائي ويسيرون بخطوات منتظمة ، ويدورون إلى اليمين) .

كاليجولا : أين الآخرون ؟

سيزونيا : **(تنادي)** . سيبيون وميثيليوس !

(ينظم كلا من سيبيون وميثيليوس إلى الشعراء الآخرين . يجلس كاليجولا وسيزونيا والنبلاء في الطرف الأيسر من خشبة المسرح وتمضي برهة صمت) .

كاليجولا : الموضوع - الموت . والزمن - دقيقة .

(يباشر الشعراء الكتابة بسرعة على ألواحهم) .

النبيل المسن : ومن سيكون الحكم ؟

كاليجولا : أنا . ألا يكفي هذا ؟

النبيل المسن : أجل ، كل الكفاية . . .

شيريا : هل ستشارك في المباراة ، ياكايوس ؟

كاليجولا : لاداعي لذلك . كنت قد نظمت قصيدة حول هذا الموضوع منذ زمن بعيد .

النبيل المسن : **(بلهفة)** . وأين يمكن الحصول عليها ؟

كاليجولا : انشدها صباحَ مساء . . .

(تنظر سيزونيا إليه باضطراب) .

كاليجولا : **(بخشونة)** . ألم يعجبكِ محياي ؟

سيزونيا : **(بلطف)** . اعذرني ، أرجو المغفرة . . .

كاليجولا : من فضلك . لاأريد مزيداً من الاستكانة . أي شيء ماعداها . فأنت من الصعوبة تحملك ، فكيف استكانتك ! . . **(تحاول سيزونيا أن تتماسك) .**

كاليجولا : **(موجهاً حديثه إلى شيريا)** . ماعدا هذه القصيدة لم أكتب شيئاً . إلا أنها تبرهن على أنني الفنان الأوحد على مدى تاريخ روما بالكامل . أتسمعني ياشيريا . وأنا الوحيد ، الذي تتطابق أفعاله مع أفكاره .

شيريا : هذا يعود لما تتمتع به من سلطة ونفوذ .

كاليجولا : أجل . والآخرون يدعون لأنهم محرومون من السلطة . أما أنا فلا حاجة لي للابداع ، لأن دوري في الحياة ينحصر بأمور أخرى .
(بخشونة) . آ ، أنتم ، ماذا ، هل انتهيتم من نظم الشعر ؟

ميثيليوس : أظن ، نعم .

الجميع : نعم . . .

كاليجولا : عندها ، اصغوا إليّ جيداً . . . سوف تتقدمون إلى الأمام حسب الدور . وعندما تسمعون صوت الصفارة ، يتقدم الأول ويبدأ بالالقاء . وإذا أطلقت صفرة ثانية يتوقف الأول ويبدأ الذي يليه . وهكذا دواليك . وسينتصر ذلك ، الذي لاتقاطعه صفارتي . استعدوا ! **(ينحني إلى شيريا ، كمن يفضي له بسر)** . في كل أمر نحتاج إلى نظام حديدي ، حتى في الفن . **(صوت الصفارة)** .

الشاعر الأول : الموت ، عندما يأتي الموت
من الشاطئ الأسود . . .

(صوت الصفارة ، ينزاح الشاعر إلى اليسار . ويخطو الآخرون نفس العدد من الخطوات وبذات الاتجاه) .

الشاعر الثاني : ثلاث حدائق في أغوارك . . .
(صوت الصفارة) .

الشاعر الثالث : استدعيك أيها الموت . . . .
(صدور صفرة غاضبة) .

(يتقدم الشاعر الرابع إلى الأمام ويتهيأ للتلاوة ، لكن صوت الصفارة يصدر ، قبل أن يتفوه بأية كلمة) .

الشاعر الخامس : عندما كنت طفلاً . . .

كاليجولا : **(يزعق)** . لا ! وأي علاقة هنالك بين الموت وطفولة شيطان

مثلك ؟ هل تستطيع أن تشرح لي هذه العلاقة ؟

الشاعر الخامس : لكنني ياكايوس ، لم أنته بعد . . .

(صفرة حادة) .

الشاعر السادس : (يتقدم إلى الأمام وهو يَسعل بشكل حاد) .

القاسية ، تتهادى . . .

(صوت الصفارة) .

الشاعر السابع : (بغموض) . صلاة غامضة مبهمة . . .

(صفرة متقطعة) .

(يتقدم سيبيون إلى الأمام دون أن يحمل لوحاً) .

كاليجولا : جاء دورك ياسيبيون . ألا تحمل لوحاً ؟

سيبيون : لاحاجة لي به .

كاليجولا : سنرى . **(يعض على صفارته) .**

سيبيون : (يقف قريباً من كاليجولا ، غير ناظر إليه ويبدو عليه الأعياء) .

تمنيت السعادة لتطهر النفوس

في السماء ، حيث تضطجع الشمس

أفراحي انطوائية

وهرائي لاأمل له ! . . .

كاليجولا : (بلطف) . يكفي أرجوك ياسيبيون . لاتزال في ريعان الصبا ، ولاحاجة لك في استيعاب دروس الموت .

سيبيون : (متمعناً بعيون كاليجولا) . كنت في ريعان الصبا ، قبل أن أفقد والدي .

كاليجولا : (يلتفت بحدة إلى الآخرين) وأنتم ، أيها الآخرون ، قاربوا صفوفكم . شاعر سيء ـ إنها تجربة قاسية ، وذوقي لايتحملها . حتى هذه اللحظة ، كنت أرى فيكم أنصاراً لي ، حتى أنني أحياناً

كنت على قناعة بأنكم ستشكلون خط الدفاع الأخير عني .
الشعراء يقفون ضدي ! إنها النهاية .
أمام سر ! مروا من أمامي مشرعين ألواحكم . وكل واحد منكم يقوم بلحس آثار سفالاته . انتباه ! إلى الأمام !
(يجري المسير على أنغام صفارة كاليجولا ، يسير الشعراء باتجاه المخرج اليميني ويتركون وهم سائرون ألواحهم الخالدة ، بعد أن لحس كل منهم لوحه) .

كاليجولا : **(بهدوء تام)** . انصرفوا جميعاً .
(يمسك شيريا بمنكبي النبيل الأول عند الباب) .

شيريا : لقد حانت الساعة .
(عندما يسمع سيبيون هذه العبارة يتباطأ عند العتبة ويكر عائداً إلى كاليجولا) .

كاليجولا : (بشراسة) . ألا تريد أن تريحني من وجهك بهدوء ؟ كما فعل أبوك .

المشهد الثالث عشر

سيبيون : كفى ياكايوس . هذا لايفيدك بشيء . كنت قد توصلت إلى قناعة تفيد بأنك صنعت خيارك الأخير .

كاليجولا : دعني !

سيبيون : سأدعك فعلاً . لأنه يتراءى لي أنني أصبحت عميق المعرفة بشخصك . لامن أجلك ولامن أجلي ، بل لأنه لاخيار هناك . وسأبتعد عنك لأبحث عن تفسير لذلك . **(برهة صمت ينظر خلالها إلى كاليجولا برأفة)** . وداعاً ياعزيزي كايوس . وعندما ينتهي كل شيء ، لاتنسى أني أحبك . **(يخرج)** .

(ينظر كاليجولا بإثره ويقوم بحركة ما ، إلا أنه يعود إلى توازنه ويسلط بصره إلى سيزونيا) .

سيزونيا : ماالذي قاله ؟

كاليجولا : ماقاله ، فوق طاقتك على الاستيعاب .

سيزونيا : بماذا تفكر ؟

كاليجولا : أفكر به وبكِ . وأنتما ، على أي حال ، شيء واحد .

سيزونيا : ماذا حدث .

كاليجولا : **(ناظراً إليها)** . خرج سيبيون وانتهت هذه الصداقة . وأنتِ ـ لماذا لاتزالين هنا . . .

سيزونيا : لأنني أثير اعجابك .

كاليجولا : لا ، آه ، لو كنت قد قتلتك ، لكنت أدركت ذلك .

سيزونيا : وليكن . إنها عبارة عن فكرة . حَقِقْها ، إذا كان تحقيقها سيوصلك ، ولو لدقيقة واحدة ، إلى الحياة الحرة .

كاليجولا : أنا ، منذ كثير من السنين ، منكب على العمل لكي أعيش حراً .

سيزونيا : ما أعنيه شيئاً آخراً . افهمني . سيصبح الأمر حسناً ـ أن تعيش وتحب بروحٍ نقية .

كاليجولا : كلٌ يبحث عن النقاء حسب مقدرته . أما أنا فأثناء هذا البحث ، أقوم بتنفيذ الأمر الأكثر أهمية . لكن ومهما كان الأمر ، فأنا أستطيع قتلك . **(يضحك)** . لو حصل ذلك . لكان عبارة عن تاج عظيم على طريق عظمتي . **(يقف كاليجولا ويدير المرآة . بعدها يحوم محاذياً الجدران كالوحش وأيديه معلقة بالهواء دون حركة)** . ياللغرابة . عندما لاأمارس القتل ، أشعر بالوحدة . فالأحياء ، في هذه المعمورة ، غير قادرين على تبديد السآمة ، التي تقطن عيني . والأمور تسير على مايرام بيني وبين أمواتي فقط .

(يقف مواجهاً النظارة منحنياً إلى الأمام قليلاً . ويبدو عليه أنه نسي أمر سيزونيا) .

إنهم الأجدر . كما أنا بالضبط . ينتظرونني ويتحملونني **(يهز رأسه)** . أتباحث مرة مع هذا وأخرى مع ذاك . ومنهم من يتقدم طالباً الرحمة ، لأنني أمرت بقص لسانه .

سيزونيا : تعال إلى هنا . اضطجع بالقرب مني . ضع رأسك على فخذي .

(ينفذ كاليجولا ما أمر به) .

هل أنت على مايرام . إهدأ .

كاليجولا : الهدوء ! أنت تبسطين الأمور . ألا تسمعي قرقعة الأسلحة ؟

(تسمع قرقعة أسلحة) .

ألا تلاحظين آلاف الخشخشات ، تعلن أن الكراهية تجلس في كمين ؟

(تذمرّ مبهم) .

سيزونيا : لأحد يتجاسر . . .

كاليجولا : ماعدا الحماقة .

سيزونيا : هي لاتقتل . بل تجعل الناس أكثر حذراً .

كاليجولا : إنها تحمل الموت ياسيزونيا . إنها تحمل الموت . وعندها تشعر نفسك مهاناً . لن يقتلني أولئك ، من قتلت أبائهم أو أبناءهم . هؤلاء أدركوا أن فمي وأفواههم تعج بذات النكهة . لكن سيقوم بذلك آخرون ، من استهزأت بهم وجعلتهم مسخرةً وأنا لاأملك الحماية الكافية عن الجروح التي أحاقت بنرجسيتهم .

سيزونيا : **(بحماس)** . سنحميك . لانزال أكثر . نحن الذين نحبك .

كاليجولا : إنكم تتناقصون باستمرار . وأنا كنت السبب في ذلك . واعترف الآن ، أن ضدي لاتقف الحماقة فحسب ، بل الرجولة والاخلاص

أيضاً . هاتان الخصلتان اللتان يتمتع بهما كل من يريد أن يصبح سعيداً .

سيزونيا : **(بحماس)** . لا ، لن يقتلونك . أو سترسل السماء صاعقة ، تصعقهم قبل أن يتجرأوا الاقدام على ذلك .

كاليجولا : من السماوات ! لاتوجد هنالك أية سماوات ، أيتها الفقيرة . **(يقف)** . لكن ماهذا الحب المتدفق فجأة ؟ فهذا لايدخل ضمن قناعاتنا .

سيزونيا : **(تقف وتقرر المُضي)** . أيعني ذلك ، أنه لايكفي أن أشاهد كيف تقتل الآخرين ، بل يجب عليَّ أيضاً مشاهدة كيف سيقتلونك ؟ ألا يكفي قدومك إليَّ غاضباً ومضطرباً ورائحة الموت التي أشمها وأنت تضاجعني ؟ فأنا كل يوم أراقب الموت المتدرج للانسانية فيك . **(تستديرنحوه)** . كَبُرَ سني وقريباً سيميل شكلي إلى البشاعة . أنا أعرف ذلك . لكن روحي لاتفكر إلا بك ، واصبح أمر محبتك لي أو عدمها سيان . ماأريده فقط : أن أراك شافياً . إنك لاتزال طفلاً . ولاتزال الحياة رحبة أمامك . وماتستطيع عمله ، تعجز عنه الحياة .

كاليجولا : **(يقف ويحدق فيها)** . طال مكوثك هنا .

سيزونيا : أجل . لكنك لاتنوي طردي ، حقاً ؟

كاليجولا : لاأدري . الأمر الذي أعرفه ، أنك مازلتِ هنا ، وجميع الليالي ، التي قدمتي ليَّ فيها المتعة المرة والحزينة وأنك تعرفين الشيء الكثير عني . **(يعانقها ويحني رأسها قليلاً إلى الخلف)** . عمري تسعة وعشرين عاماً إنه قليل . لكن عندما تحين الساعة ، التي أرى فيها أن حياتي ستطول وستصبح مفعمة ببقايا الماضي أو أنها ستنتهي ، ستبقين الشاهد الأخير . وأنا أستطيع أن أُقاوم لطف إمرأة مسنة ،

ستصبحينها عما قريب .

سيزونيا : قل لي . لماذا لاتطردني ؟

كاليجولا : لاأدري . أدرك فقط ـ ماهو أكثر رعباً وهو أن هذا اللطف المعيب ، هو الشعور الوحيد النقي ، الذي وهبتني إياه هذه الحياة .

(تحرر سيزونيا نفسها من عناقه ، تقف وتمشي . يتبعها كاليجولا ، يلتصق بها من الخلف ويحيطها بذراعيه) .

كاليجولا : أليس من الأفضل ، أن يختفي الشاهد الأخير ؟

سيزونيا : بالنسبة لي ، الأمر سيان . وأنا سعيدة بما قلت . لكن ، لماذا لاأستطيع أن أقاسمك هذه السعادة ؟

كاليجولا : من قال لك ، إنني لست سعيداً ؟

سيزونيا : السعادة ـ هي الروح العظيمة . فهي لاتسحق الآخرين من أجل أن تعيش .

كاليجولا : إذن . هنالك شكلان للسعادة . وأنا أخترت ، تلك التي تحمل الموت . وأنا سعيد . غَرُبَ ذلك الزمن ، الذي ظننت فيه أنني وصلت إلى الحدود القصوى للمعاناة . وأنا الآن أستطيع متابعة المسير . وخارج حدود بلادي ، تجدين سعادة عظيمة وعقيمة في نفس الوقت . انظري إليَّ .

(تستدير باتجاهه) .

أضحك ياسيزونيا ، عندما أتذكر أن روما كاملة ، لم تنس ولا لسنة واحدة ترديد اسم دروزيلا . فروما لم تقع في ضلال أبداً . أما ماينقصني فهو الحب ، وهذا ماأدركته سابقاً . واليوم وكما كنت في السابق ، أفكر وأنا أنظر إليك ـ أن تحبي انساناً ما ، هذا يعني أنك توافقين أن تشيخي معه . وأنا غير قادر على مثل هذا الحب . ودروزيلا القديمة ـ أسوأ كثيراً من دروزيلا الميتة . يتراءى

لك أن الانسان يعاني من حقيقة أن المخلوق الحبيب يموت فجأة . لا ، فالمعاناة الحقيقية ليست هراءً ، إنها تصل حينما نرى أن هنالك نهاية للمصائب . حتى أن الجزع هو أمر فاقد للمعنى . لهذا ترين أنني لاأوجد العدل في ضلال الحب و لا في مرارة الحزن . وأشعر اليوم أنني أكثر حرية مما كانت عليه حالتي في السنوات الماضية . فقد تحررت من الذكريات والأوهام . (**يضحك بجلاء**) . وأنا أؤمن أن لكل منها نهايته ! ماهذا الاكتشاف ؟ كان عدونا اثنان أو ثلاثة عبر التاريخ ، منهم من اختبر ذلك فعلاً ، ومنهم من عانى من هذه السعادة المجنونة . ياسيزونيا ! أنت من عاش هذه التراجيديا الممتعة إلى نهايتها . وحان الوقت لاسدال الستار عليك . (**يقف من جديد خلف سيزونيا ويسور عنقها بيديه**) .

سيزونيا : (**جزعة**) . هل هذه الحرية الفظيعة ـ هي السعادة بأم عينها ؟

كاليجولا : (**يزيد من الضغط على عنقها**) . هي بالذات ياسيزونيا وبدونها لم أكن راضياً وبفضلها استحوذت القدرة على الاستبصار كالآلهة التوحيدية .

(يزداد اضطرابه كلما أخذ يشد على خناق سيزونيا . وهي لاتبدي أية مقاومة ، ماعدا أنها تمد ذراعاها إلى الأمام ويتكلم وهو ينحني كأنه يوشوشها) .

أنا أعيش ، إذن أنا أقتل ، إذن أنا أمتلك عظمة مدمر ، التي أمامها تصبح عظمة المبدع لاشيء يذكر . هذا ماتعنيه السعادة ـ الحرية المطلقة ، الحقد على كل ماهو موجود على الأرض والدم ونشر الكراهية والعزلة المنقطعة النظير لانسان يتمعن الحياة والأفراح لقاتل خارج عن القانون والمنطق ، قلبه لايرحم ولاينفك عن طحن

حيوات البشر **(يضحك)** ، وحياتك أيضاً ياسيزونيا . اريد أن أنفرد في قيادة عصر العصور .

سيزونيا : **(تقاوم بوهن)** . ياكايوس .

كاليجولا : **(خارجاً عن طوره)** . لا ، لن تخلصي بأية رحمة . يجب أن أنتهي من هذا الأمر ، فالزمن لايرحم . الزمن لاينتظر ياعزيزتي سيزونيا .

(سيزونيا تحشرج ، يدعها كاليجولا بعد أن يرميها على الأرض) .

كاليجولا : **(ناظراً إليها نظرة شاردة وبصوت مخنوق)** . أنتِ ، وأنتِ أيضاً كنت مذنبة . لكن لايجوز حل المسائل بالقتل .

المشهد الرابع عشر

كاليجولا : **(يستدير ويتوجه إلى المرآة ، وبهذيان)** .

وأنت أيضاً ياكاليجولا . أنت أيضاً مذنب . قد يكون وزرك أصغر ، وقد يكون أكبر ، فلا فرق هناك .

لكن من يتجرأ على محاكمتك في هذا العالم ، حيث لا محاكم ولا أبرياء ؟ **(بحزن عميق ، يلتصق بالمرآة)** . أترى ، لم يؤب هيليكون . ولم تحصل على القمر . كم هو قاسي على المرء ، العدل الخاص والطريق الطويل إلى النهاية . أخشى النهاية وصليل السيوف ! **(يسمع صليل سيوف)** .

إنهم يحتفلون بالنصر . ليتني كنت مكانهم . إني جزع وارتعد خوفاً . ماهذه السخافة - أينتهي كل شيء بالهلع بعد أن قضيت العمر تسخر من الجبناء . لكن ، لاأهمية لذلك ، حتى الخوف له نهاية . والهلع لايدوم . ومن جديد سيسود حولك فراغ فسيح رهيب ، فيه تهدأ الروح .

(يخطو خطوة واحدة إلى الوراء ، ثم يعود إلى المرآة . ويبدو

كأن الهدوء عاد إليه بعض الشيء . ومن جديد يعود إلى الكلام بصوت منخفض هادئ وأكثر تماسكاً) . كل شيء يبدو شديد التعقيد . وكانت الأمور ستسير أفضل ، لو أني حصلت على القمر . ولو رضيت بالحب شريكاً لتغير كل شيء . لكن ، كيف أستطيع ارواء ظمأي ؟ أي قلب حنون وأية آلهة معطائة أحتاج ، ليروياني من بحيرتهما ، التي لاتنضب ؟ **(يسجد على ركبتيه ويبكي)** . لايوجد نظير لي ، لا في هذا العالم ولا في عالم آخر ، مع أنني أعلم وأنتِ تعلمين أيضاً . **(ضاغطاً بيده المرآة)** . أنا لاأحتاج سوى لتحقيق أمر واحد ـ هو المستحيل . بحثت عنه في أطراف العالم وبين حنايا روحي . أمد يدي **(صارخاً)** . ومازلت أمد يدي معتمداً عليك ، وأنتِ دائماً في وجهي . وقلبي لايحمل لك سوى الحقد والبغيضة . لم أسلك السبيل ، الذي كان يتوجب عليَّ سلوكه . لذا لم أصل إلى أي شيء . حريتي ـ وهمية .

يا هيليكون ! ياهيليكون ! لا ، لامن مجيب .

كم هذا الليل مضنياً ؟ لم يصل هيليكون . وسنبقى نتحمل إثم الجريمة إلى ا لأبد . هذه ليلة شدية الوطئة ـ كآلام البشرية .

(يسمع من وراء الكواليس صليل وتراطم أسلحة) .

هيليكون : **(يظهر فجأة في عمق خشبة المسرح)** . إحذر ، ياكايوس ! إحذر !

(يد مجهولة تنحر هيليكون بخنجر . يقف كاليجولا حاملاً طربيزة ، يتنفس بصعوبة ويدنو من المرآة . ينظر إلى ذاته ويمثل كأنه يريد القفز إلى الأمام . وجواباً على حركة صورته في المرآة ، يقذفها بالطربيزة) .

كاليجولا : في ذمة التاريخ ، ياكاليجولا . في ذمة التاريخ .

(تتحطم المرآة . وفي هذه اللحظة يدخل المتآمرون بأسلحتهم من جميع الأبواب . يدور كاليجولا لملاقاتهم بضحكات جنونية . يوجه إليه النبيل المسن ضربة في ظهره ، أما شيريا فيوجه ضربته إلى وجهه . ويتحول ضحك كاليجولا إلى أنين ماقبل الموت . تُصب الضربات إليه من جميع الاتجاهات . ضاحكاً ومتجشراً من صحوة الموت ، يصرخ كاليجولا أخيراً) .

مازلت حياً

النهاية

تسدل الستارة

صدر للمترجم

١ ـ موسوعة الحرب الالكترونية	خاص	١٩٩٣
٢ ـ معنى الحياة السعادة والأخلاق	دار حوران	١٩٩٤
٣ ـ نهاية التاريخ	دار الكنوز الأدبية	١٩٩٣
٤ ـ تروتسكي	دار الكنوز الأدبية	١٩٩٣
٥ ـ روزا لوكسمبورغ	دار الحوار	١٩٩١
٦ ـ البرجوازية الصغيرة كمشكلة اجتماعية أخلاقية	دار الحصاد	١٩٩٢
٧ ـ موليير	دار حوران	١٩٩٤
٨ ـ ملفات أدبية	دار الحوار	١٩٩١

كاليجولا

كتب ألبير كامو مسرحية كاليجولا عام ١٩٣٨، وإلى يومنا هذا، يعتبرها النقاد أفضل مسرحياته، بالإضافة إلى كونها أكثر إثارة للجدل، حيث نجد فيها عصيانا شيطانيا ضد القدر، قدمه لنا مؤلفها وهو في الطريق للبحث عن معالجة لمسألة الحرية. تستولي على بطل المسرحية، الذي هو عبارة عن حاكم مطلق، نظرة تشاؤمية عن الحياة بكل تلاوينها، فيتساوى عنده الحياة والموت والعدل والظلم، القليل والكثير، الحزن والفرح، الإنسان والحيوان وهذه الأمور جميعها أدت إلى سيطرة الجسد والشهوات على العقل وفقدان الأمل واليأس.

كاليجولا الطاغية، الذي يبحث عن المستحيل، هو نموذج الرجل المتمرد، رجل الإرادة المطلقة التي تتحدى إرادة الآلهة. إنه جلجامش، وقد فقد بموت شقيقته، التي هي حبيبته بآن واحد، فقد معنى الحياة. وهنا نجد أن حادث موت أنكيدو، صديق جلجامش وعشيقه في آن، يشابه أشد الشبه موت دروزيلا شقيقة كاليجولا، الذي أعلن عزمه على الزواج منها، على الرغم من أن هذا الحب كان مخالفا لنواميس الآلهة. ويقابل هذا التمرد على نواميس الآلهة، يقابل بالموت التراجيدي، الأمر الذي لقاه كاليجولا.

المترجم



دار حوران للطباعة والترجمة والنشر
سورية – دمشق – ص. ب: ٢٢١٠٥
أشرفية صحنايا – هاتف: ٦٧١٣٠٧٩